الإسلام وطننا

أسسها

العارف بالله

السيد عز الدين ماضي أبو العزائم

سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

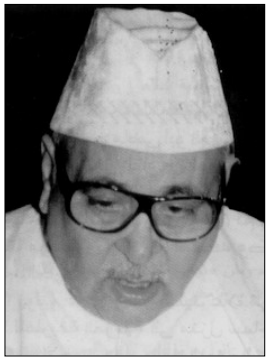

تصدرها

مشيخة الطريقة العزمية

بجمهورية مصر غرة كل شهر عربي

ترخيص المجلس الأعلى للصحافة

١٩٨٧/٢/٨م

رئيس مجلس الإدارة

شيخ الطريقة العزمية

السيد محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم

نائب رئيس مجلس الإدارة

نائب عام الطريقة العزمية

السيد أحمد علاء الدين ماضي أبو العزائم

مدير التحرير والمشرف العام

الدكتور عبد الحليم العزمي

رئيس التحرير

محمد الشندويلي

مستشار التحرير

الأستاذ سميح محمود قنديل

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد

* **الافتتاحية: هيا نبني أمتنا ..**
بقلم شيخ الطريقة العزمية السيد محمد علاء الدين ماضي أبي العزائم ٤
* **معارج المقربين (١٨) ..** الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم ٨
* **الإنسان خليفة الله في الأرض (٣٦) ..**
بقلم نائب عام الطريقة العزمية السيد أحمد علاء الدين ماضي أبي العزائم ١٢
* **عبقرية الإمام عليّ (٣٤) ..** المفكر الإسلامي الكبير المرحوم عباس محمود العقاد ١٤
* **المقاربة التداولية البلاغية والتلقي الاسترجاعي لرائية الخنساء (٨) ..**
أ.د. عزيزة عبد الفتاح الصيفي ١٦
* **فقه مالك والمالكية (١٣) ..** د. محمد الإدريسي الحسني ١٨
* **نصرة النبي المختار في أهل بيته الأطهار (٨٥) ..** المستشار رجب عبد السميع وأ. عادل سعد ٢٠
* **النَّص المُتشظِّي .. المشروع الصهيوني من ريف دمشق إلى قطاع غزة (٧) ..**
أ.د. بليغ حمدي إسماعيل ٢٢
* **وصية إلى الرجل المسلم (٣) ..** د. جمال أمين ٢٤
* **الإسلام وطن وجولة مع أخبار الوطن الإسلامي..** الأستاذ هشام سعد الجوهري ٢٦
* **قول أنفذ من صول ..** د. عزيز محمود الجندي ٢٩
* **حكم المؤمنين والذين هادوا والنصارى والصابئين..** الإمام محمد ماضي أبو العزائم ٣٠
* **براعم الإيمان من فيض الحنان (٤٣) ..** المحاسب مصطفى فهيم ٣٢
* **جوانب الخلاف بين جمعية العلماء والطرق الصوفية (٤) ..** أ. د. نور الدين أبو لحية ٣٤
* **مسلسل «الفتنة» ومخطط إشعال الحرب المذهبية بتزييف التاريخ (٨) ..**
الدكتور عبد الحليم العزمي ٣٦
* **سيدنا محمد رسول الحرية [٢/١] ..** أ. صلاح البيلي ٤٠
* **المستشرقون وتعصبهم الفاضح ضد العرب والإسلام .. إرنست رينان كمثال [٧/٧] ..**
أ. محمد إسحاق عبد الرسول ٤٢
* رأي الإمام أبي العزائم في مسائل العقيدة (٢٩) .. د. سامي عوض العسالة ٤٤
* أخطر جماعة ظهرت على وجه الأرض (٩) .. محمد الشندويلي ٤٦
* من أنشطة المركز العام للطريقة العزمية خلال شهر جماد أول ١٤٤٧هـ ٤٧
* آيات الساعة العشر في القرآن الكريم والسنة (٦) .. أ. د. فاروق الدسوقي ٤٨
* أباطيل الإسلام السياسي (الأسس الفكرية للإرهاب) [٨٠] .. د. محمد حسيني الحلفاوي ٥٠
* شرح جوامع الكلم للإمام أبي العزائم ﷺ (الحكمة ١٧٧) .. أ.سميح قنديل ٥٢
* عبرة لمعتبر (٤) .. الشيخ قنديل عبد الهادي ٥٤
* سلام على الوحدة العربية.. تحديات ما بعد الطوفان!! .. د. رفعت سيد أحمد ٥٦
* المجتمع العزمي ٥٨

غـايتـنا

إعادة المجد الذي فقده المسلمون الذي لن يتحقق إلا بعودة الخلافة الإسلامية.
هذه هي الضالة التي ننشدها والمجد الذي فقده المسلمون ونسعى لتجديده.

دعوتنا

أولاً: الإسلام دين الله وفطرته التي فطر الناس عليها.

ثانياً: الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله ﷺ.

ثالثاً: الإسلام وطن والمسلمون جميعًا أهله.

شعارنا

الله معبودنا والجهاد خلقنا
والرسول مقصودنا والخلافة غايتنا
والقرآن حجتنا وأبو العزائم إمامنا

الاشتراكات

داخل مصر ١٨٥ جنيه سنويًّا خالصة رسوم البريد.

باقي دول العالم ٧٥ دولارًا سنويًّا خالصة رسوم البريد.

هيا نبني أمتنا

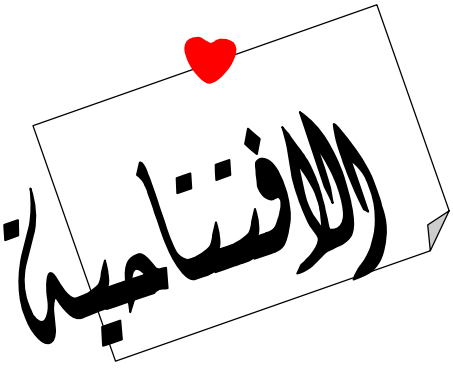

إن الأمم العظيمة لا تُبنى بالهتافات، ولا تُشاد بالآمال وحدها، بل تُقام على أسس راسخة ومبادئ ثابتة، تحمل في طياتها مقومات البقاء والازدهار.

التاريخ خير شاهد على أن صعود الحضارات وانهيارها لم يكن وليد الصدفة، بل هو نتيجة حتمية لما تبنّته الشعوب من قيم وسلوكيات. فالحضارات التي أشرقت يومًا على العالم، من الشرق إلى الغرب، لم يكن سر قوتها يكمن في كثرة عددها أو ضخامة جيوشها فحسب، بل في تماسكها القيمي والأخلاقي.

وعندما تآكلت هذه القيم، بدأت عوامل الضعف تسري في جسدها، حتى أتى الانهيار محتومًا. وإذا كنا اليوم نطمح إلى أن نرى أمتنا في مصاف الأمم المتقدمة، وأن نتبوأ مكانتنا اللائقة تحت الشمس، فعلينا أن نعود إلى جوهر البناء الحقيقي، وهو بناء الإنسان القويم الذي يمثل اللبنة الأساسية في صرح الوطن. هذا البناء لا يتم إلا عبر غرس الفضائل التي تُميزه كفرد مسؤول ومؤتمن.

إن البناء الحقيقي يبدأ من الأعماق، من الأخلاق الفاضلة التي تُعد بمثابة الدستور غير المكتوب الذي يحكم تعاملات الأفراد، ويُنظّم شؤون المجتمع. هذه الأخلاق هي السياج الذي يحمي الأمة من التفكك الداخلي، وهي البوصلة التي توجه طاقاتها نحو الإنجاز المشترك. وفي خضم البحث عن سر قوة الأمم التي سبقتنا، نجد أن العوامل المشتركة التي صنعت مجدها هي نفسها العوامل التي يجب أن نتبناها اليوم: الصدق، والأمانة، والإخلاص.

هذه القيم هي الميثاق الذي يجب أن يلتزم به كل مواطن يسعى لرفعة وطنه. وفي المقابل، نجد أن معاول الهدم التي فتكت بالمجتمعات عبر العصور هي ذاتها الصفات المهلكة: الكذب، والخيانة، والنفاق.

إنها معادلة وجود بسيطة وعميقة في آن واحد: البناء في كفة، والدمار في كفة أخرى، وخط الدفاع الأول هو ضمير الفرد الملتزم بالحق والواجب.

عوامل بناء الأمم.. الثالوث الذهبي

إذا أردنا أن نبني أمة قوية، فعلينا أن نغرس فيها هذا الثالوث الذهبي من القيم، والتي تمثل المحاور الأساسية التي تدور حولها حياة الفرد المسلم، ونهضة المجتمع ككل. هذه الصفات ليست مجرد مُثل عليا تُتلى في المنابر، بل هي ممارسات حياتية يومية تُترجم إلى إنجاز وعمل متقن، وهي أساس العبادة والمعاملة في الإسلام.

١ـ الصدق.. أساس كل فضيلة

الصدق ليس مجرد مطابقة القول للواقع، بل هو مطابقة القول للضمير، والعمل للقول. إنه يعني التزام الشفافية والوضوح في التعامل مع الذات والآخرين، وهو القيمة التي لا يمكن لأي مجتمع أن يتقدم خطوة واحدة دونها.

فالصدق في الأقوال: يبني الثقة العامة بين الناس، وهي رأس مال المجتمع الحقيقي. أما الصدق في النوايا: فهو الذي يوجه الجهود نحو المصلحة العامة والتجرد من الأغراض الشخصية الضيقة.

والصدق في الأعمال: هو الذي يضمن جودة الإنتاج والإتقان، ويجعل المؤسسات تعمل بكفاءة وفاعلية.

الصدق كمحور للعدل والإنصاف:

الصدق هو المحور الذي يدور حوله العدل والإنصاف في المجتمع. فالمجتمع الصادق هو الذي يُعلي قيمة الحقيقة، فيشهد فيه الشاهد بالحق، ويحكم فيه القاضي بالعدل، ويُقوّم فيه المسؤول الاعوجاج بشجاعة وشفافية.

عندما يسود الصدق، يطمئن الفرد على حقه، ويسود الشعور بالأمان، وهو ما يُعزز الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي.

على سبيل المثال، المجتمعات التي تنجح في جذب الاستثمار الأجنبي والمحلي هي تلك التي تقوم معاملاتها على الصدق في العقود والشفافية في القوانين؛ لأن الصدق يولد الموثوقية.

مستويات الصدق في حياة المسلم:

يتجسد الصدق في حياة المسلم على ثلاثة مستويات مترابطة:

١- الصدق مع الله: في الإيمان والتوحيد، وفي إخلاص العبادات والنوايا.

٢- الصدق مع النفس: في التقييم الذاتي الشجاع والاعتراف بالخطأ، والعمل على تصحيحه بمسؤولية.

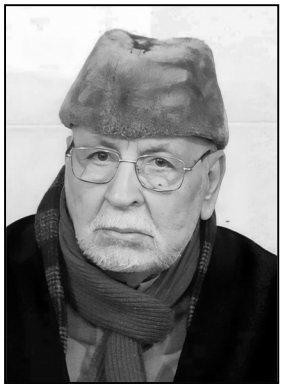

السيد محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم

شيخ الطريقة العزمية

عضو المجلس الأعلى للطرق الصوفية

رئيس الاتحاد العالمي للطرق الصوفية

٣- الصدق مع الناس: في الوفاء بالعهود، وعدم الغش في التعاملات، وإبلاغ المعلومة كما هي دون تضليل أو تحريف.

إن الصدق مع الناس هو الذي يُحوّل الأفراد إلى جماعة متماسكة تستطيع أن تُحقق أهدافًا مشتركة.

٢. الأمانة: عماد البناء

الأمانة هي أوسع وأشمل من مجرد حفظ الودائع المالية. إنها القيام بالحقوق والواجبات على أكمل وجه، وهي تحمل المسؤولية الملقاة على عاتق الفرد تجاه نفسه، وأسرته، ومجتمعه، ووطنه.

إن بناء الأوطان ليس مهمة الحكومات وحدها، بل هو مسؤولية كل فرد في هذا المجتمع، من الحاكم إلى المحكوم.

كل إنسان في هذه الحياة مؤتمن على دوره ومهامه، سواء كان الدور صغيرًا أو كبيرًا، ونجاح الأمة مرهون بمدى قيام كل فرد بـ أمانة دوره بكفاءة وإخلاص.

الأمانة هي الشعور بأن كل جهد مبذول في العمل هو عبادة وواجب وطني، وأن أي تقصير هو خيانة للدور والعهد.

الأمانة المهنية والمجتمعية: كل فرد في موقعه

الأمانة هي شبكة من العلاقات المتبادلة تُغطي كل مفاصل المجتمع، فكل وظيفة هي أمانة يجب أداؤها بصدق وإتقان:

- الطبيب وأمانة علاج المرضى: أمانة الطبيب لا تقتصر على تشخيص المرض وصرف الدواء، بل تتعداه إلى إخلاص النصح وتقديم العناية الفائقة دون تمييز، سواء كان المريض قادرًا على الدفع أم فقيرًا معوزًا. الأمانة هنا تعني أن يبذل الطبيب قصارى جهده لإنقاذ الأرواح، وأن يطور علمه باستمرار ليقدم أحدث سبل العلاج، ولا يستغل حاجة المريض. الطبيب الأمين هو الذي يضع حياة الإنسان فوق كل اعتبار مادي.

- المزارع وأمانة الأرض والأمن الغذائي: أمانة المزارع تكمن في زرع الأرض وحرثها بجد وإتقان، واستخدام الموارد الطبيعية (كالماء والتربة) بحكمة ومسؤولية للحفاظ على البيئة. الأمانة هنا هي أن يعطي للأرض حقها من العناية، وأن يُدرك أن ما ينتجه هو قوت لأبناء وطنه وجزء من أمنه الغذائي، فيبتعد عن الغش واستخدام المواد الضارة.

- المعلم وأمانة التربية: أمانة المدرس هي الأثقل والأعظم، فهي أمانة تربية الأجيال وصقل العقول والنفوس. المعلم

المؤتمن هو الذي يشرح للتلاميذ بصدق وإخلاص، وينقل إليهم العلم والأخلاق والقيم الوطنية، ويهتم بالموهوب والمحتاج على حد سواء، مدركًا أن في يده مستقبل الأمة برمته. دوره يتجاوز تعليم المنهج إلى بناء الشخصية السوية والمنتجة.

- الموظف والمسؤول وأمانة المنصب: أمانة الموظف تكمن في إنجاز المعاملات بعدل وسرعة، وخدمة المواطنين دون محسوبية أو إبطاء. أما المسؤول، فأمانته هي صون المال العام من الهدر والفساد، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب وفقًا للكفاءة والورع، واتخاذ القرارات التي تصب في مصلحة الوطن أولًا وأخيرًا، دون تأثير المصالح الشخصية أو القبلية. المسؤول الأمين هو خادم للشعب وليس سيدًا عليه.

٣- الإخلاص: سر القوة والبركة

الإخلاص هو تجريد القصد لله تعالى أو للهدف الأسمى من كل شائبة، وهو أن يكون العمل متقنًا ليس طلبًا للمدح والثناء من الناس أو خوفًا من الذم، بل هو نابع من قناعة داخلية بأن هذا العمل هو واجب تجاه الله والوطن والمجتمع.

الإخلاص هو الوقود الروحي الذي يحوّل الأعمال العادية إلى عبادات ذات قيمة، وهو الذي يمنح الأفراد القدرة على التحمل والمثابرة حتى في أصعب الظروف وأكثرها مشقة.

الإخلاص والإتقان الحضاري:

الإخلاص يُترجم عمليًا إلى الإتقان، وهو السمة المميزة للحضارات العظيمة. عندما يعمل الفرد بإخلاص، فإنه يبذل أقصى جهده لضمان جودة المنتج أو الخدمة، سواء كان يعمل تحت الرقابة أو بمفرده.

هذا الإتقان يؤدي إلى رفع الكفاءة الإنتاجية للمجتمع ككل، ويجعل منتجات الأمة وخدماتها قادرة على المنافسة عالميًا.

إن العمل المخلص هو الذي يدوم نفعه وتبقى بركته للأجيال القادمة؛ لأنه بُني على أساس متين من النية الصادقة والجهد المبذول بحب. الإخلاص هو صمام أمان العمل الجماعي، حيث يضمن أن الجميع يعملون لهدف واحد، وليس لتحقيق مكاسب شخصية متضاربة.

الصادق الأمين

إن الصفات الثلاث – الصدق والأمانة والإخلاص – لم تكن مجرد شعارات في تاريخ أمتنا، بل كانت السمات الأساسية التي ارتكز عليها بناء الرسالة المحمدية نفسها، فقبل البعثة، وفي قلب مجتمع جاهلي تُعاني فيه القيم من التدهور، كان سيدنا محمد ﷺ معروفًا بين قومه بلقب: "الصادق الأمين".

لقد كان هذا اللقب، الذي أطلقته عليه قريش قبل أن يُبعث رسولًا، هو شهادة تاريخية على عظمة أخلاقه وتمسكه بالقيم، حتى مع ألد خصومه الذين كانوا يحاربون رسالته لاحقًا، لكنهم لم يختلفوا يومًا على صدقه وأمانته. إن صدقه وأمانته لم يكونا صفة عابرة، بل كانتا رصيدًا عظيمًا من الثقة بُنيت عليه الدعوة بعد ذلك. فكيف يمكن لأمة أن تثق في رسالة سماوية ما لم تثق في رسولها أولًا؟ هذه الأخلاق كانت هي المُقدمة الضرورية لتقبّل الرسالة.

الأمانة والصدق ضرورة لبناء الوطن:

إن تمسك المسلم اليوم بهذه الصفات هو تطبيق عملي لأصل دينه، وشرط أساس لـ بناء وطنه ليصبح هذا الوطن مستحقًا لاسم "البلد الطيب".

لا يمكن أن يكون المرء مسلمًا بالقول فقط، بينما تتعارض أفعاله مع أمانته وصدقه. قال رسول الله ﷺ: (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له).

هذا الحديث يضع الأمانة والصدق في مرتبة الإيمان والدين، مما يؤكد أنها ليست مجرد كماليات، بل هي أركان أساسية للسلوك الإسلامي والمواطنة الصالحة. إن بناء الوطن في الإسلام هو عبادة وجهاد، ولا يتم هذا الجهاد إلا بـ سلاح الصدق والأمانة والإخلاص في العمل والتعامل.

نموذج تطبيقي من السيرة:

تتجلى الأمانة النبوية في مواقف عديدة، أبرزها قصة وضع الحجر الأسود، حيث تحاكمت إليه القبائل المتنازعة على شرف وضع الحجر، فكان حُكمه العادل بوضع الحجر في ثوب وتحمل كل قبيلة طرفًا منه، تجسيدًا للأمانة في الحكم والصدق في النية، ومنعًا لفتنة عظيمة.

وحتى عند الهجرة، ترك ﷺ الإمام عليًا كرم الله وجهه ليُرد ودائع قريش التي كانوا قد أودعوها عنده، بالرغم من أنهم صادروا أموال المسلمين وكانوا يطاردونه لقتله؛ في ذلك درس عظيم بأن الأمانة لا تؤخذ منها الحقوق، ولا تسقط حتى مع العدو أو في أشد الظروف.

معاول هدم الأمم.. الثالوث المهلك

في المقابل للقيم البانية، تقف ثلاث صفات مهلكة تعمل عمل المتفجرات الصامتة في جسد الأمة، فتُفككها وتُسقط بنيانها مهما بدا شامخًا: الكذب، والخيانة، والنفاق.

إن خطورة هذه الصفات تكمن في أنها تقتل الثقة، والثقة هي العملة الأثمن في أي مجتمع، وفقدانها يؤدي إلى شلل في التعاون والإنتاج.

١- الكذب: زوال الثقة والشلل المجتمعي

الكذب هو نقيض الصدق، وهو ليس مجرد ذنب فردي، بل هو آفة مجتمعية تهدم جسور الثقة بين الأفراد والمؤسسات.

عندما ينتشر الكذب في التعاملات، سواء كان في التجارة (الغش والتلاعب)، أو

في الإعلام (التضليل ونشر الشائعات)، أو في الوعود الرسمية والانتخابية، يصبح المجتمع مهلهلًا لا يستطيع أفراده التعاون أو التخطيط للمستقبل بثقة.

الكذب يُولّد الشك، والشك يُولّد الانقسام والخصام، والانقسام يُفضي إلى الانهيار.

الكذب يُفسد منظومة القيم الأخلاقية، فيصبح الاعتياد عليه سببًا في انتشار الظلم؛ لأن الكاذب لا يتحرج من ظلم الناس أو أكل حقوقهم طالما استطاع التغطية على فعله بكذبة.

الكذب وتأثيره على الاقتصاد والقانون:

في المجال الاقتصادي، الكذب يُفسد التعاملات، ويؤدي إلى انهيار الأسواق بسبب غياب الشفافية. في المجال القانوني والقضائي، الكذب يُفسد العدالة، فعندما يشيع الكذب في الشهادات والدعاوى، يصبح البريء متهمًا والمذنب حرًّا.

هذا يؤدي إلى فقدان الثقة في نظام العدالة بأكمله، وهو ما يهدد استقرار الدولة.

٢ـ الخيانة: اغتيال الأمانة والفساد

الخيانة هي نقيض الأمانة، وهي اغتيال بدم بارد للعقد الاجتماعي الذي يربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض. الخيانة تتخذ أشكالًا عديدة، لكن جوهرها هو نقض العهد وتهديد المصلحة العامة لمصلحة شخصية ضيقة أو لجهات خارجية.

سواء كانت خيانة للوطن بالتجسس أو تفويت الفرص التنموية، أو خيانة للوظيفة بالرشوة والإهمال والتزوير، أو خيانة للأسرة بالتخلي عن المسؤولية.

الخيانة هي الوجه الآخر للفساد، وهي دليل على انعدام الضمير وتغليب المصلحة الذاتية على مصلحة الأمة.

الفساد المالي والإداري كخيانة:

إن الفساد المالي والإداري، كاستغلال النفوذ، وأخذ الرشاوى، وتبديد المال العام، هي كلها صور من الخيانة العظمى للأمانة الموكلة. إن المسؤول الذي يقبل الرشوة أو يسهل التلاعب في العقود هو في الحقيقة يخون كل مواطن كان من المفترض أن يستفيد من هذه الأموال أو الخدمات.

الأمة التي تنتشر فيها الخيانة لا تستطيع أن تحمي مواردها، ولا تستطيع أن تضمن حقوق أفرادها، وتصبح عرضة للاستغلال من الخارج؛ لأن الخيانة الداخلية أشد فتكًا من أي عدو خارجي.

٣ـ النفاق: خطر ينخر المجتمع داخليًّا

النفاق هو أشد العوامل خطورة، فهو نقيض الإخلاص والصدق في آن واحد.

المنافق هو من يُظهر الصلاح والإصلاح والولاء للوطن، بينما يُبطن الشر والفساد والحقد.

خطورة النفاق أنه يعمل على تآكل الأمة من الداخل دون أن تُدرك ذلك إلا بعد فوات الأوان.

المنافق يندس في الصفوف ويُبدي النصيحة ظاهرًا، ولكنه في السر يعمل على إفساد الجهود وتثبيط العزائم، وبث الشائعات لتمزيق الوحدة. النفاق يمزق الوحدة الوطنية ويُشيع الفتنة؛ لأنه يجعلك غير قادر على التمييز بين الصديق والعدو، وبين الناصح والغاش، فيعيش المجتمع في حالة من اليقظة الكاذبة والخطر المجهول.

النفاق هو محاولة لسرقة الأمانة بحجة الإخلاص.

النفاق الاجتماعي والسياسي:

المنافقون في المجال الاجتماعي هم الذين يظهرون الأخلاق الفاضلة ويخفون سوء التعامل مع الآخرين، مما يفسد القدوة ويربي الأجيال على الازدواجية.

وفي المجال السياسي، المنافقون هم الذين يتقلبون مع كل مصلحة، ويزعمون الوطنية وهم يبيعون مصالح الأمة في الخفاء. هذا يضع حاجزًا أمام تحقيق الإخلاص المشترك، ويجعل كل جهد مخلص محل شبهة وشك.

الخاتمة:

دعوة للعودة للقيم

إن بناء الأوطان ليس مهمة الحكومات وحدها، بل هو مسؤولية كل فرد في هذا المجتمع، من الحاكم إلى المحكوم.

عندما يدرك كل منا أن صدقه هو أمان للمجتمع، وأمانته هي لبنة في صرح الاقتصاد والتنمية، وإخلاصه هو وقود للنهضة والإنتاج، نكون قد بدأنا بالفعل في وضع الأسس الصحيحة التي لا تهتز.

علينا أن نُدرك أن الأمانة التي نطالب بها هي أمانة الدور والوظيفة والكفاءة قبل أن تكون أمانة الأموال.

المعلم الأمين، والموظف المخلص، والطبيب الصادق، والمهندس المتقن، جميعهم يعملون على بناء هذه الأمة.

وعلينا أن نُحارب الكذب والخيانة والنفاق بنفس القوة التي نحارب بها الأخطار الخارجية؛ لأنها أخطار تُصيب القلب والجذور وتُفسد النسيج الاجتماعي والوطني.

هيا نبني أمتنا بالعودة إلى القيم الأصيلة التي بُنيت عليها رسالة نبينا الأعظم، والتي جعلت منه "الصادق الأمين".

لنكن جميعًا صادقين، أمناء، ومخلصين في نياتنا وأقوالنا وأعمالنا.. لنجعل من هذا الوطن منارة للعدل والتقدم، ونُقدم للأجيال القادمة إرثًا لا يُقدر بثمن: أمة قوية، راسخة، شامخة بأخلاقها وقيمها، لا يُهدم بنيانها بفتنة ولا يُضعفها فساد.

جعلنا الله على أخلاق سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، فنبني أمتنا ونهض بوطننا، فيفرح بنا الحبيب المصطفى ﷺ.

وصلى الله على سيدنا ومولانا رسول الله وعلى آله وسلم.

معارج المقربين
(١٨)

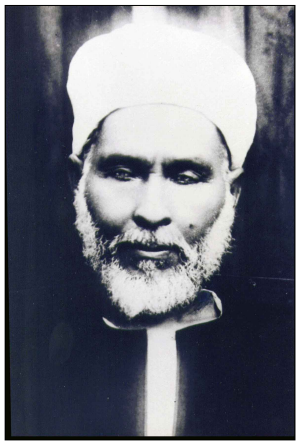

الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

الركيزة الثانية: العبادة

أركان الإسلام:

معلوم من الدين بالضرورة أن أركان الإسلام الخمسة لا يتحقق إسلام مسلم وإيمانه إلا بالقيام بها على حقيقتها، والعمل بها على وجهها الذي تصح به وتقبل، ولما كانت تلك الأركان هي: كلمة الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وكانت تلك الأركان – وإن تعددت – فإنما هي تومئ إلى معنى واحد لا يصح إلا بها، ولا يتحقق إلا بها، فهي الإيمان وهي الإسلام، وإن كان يراد بالإيمان ما هو أخص من الإسلام، فإن الإيمان هو عمل القلوب، سواء كان في العقيدة أو في النيات والإخلاص والصدق والخوف والرغبة والرهبة والخشية، فإن الأعمال البدنية التي يسميها بعضهم إسلامًا لا تتحقق إلا بعمل القلوب، فالإسلام والإيمان وإن اختلف معناهما فهما شيء واحد، فمن تهاون بركن من الأركان مستحلًا لذلك فهو كافر بالإجماع.

الركن الأول: الشهادتان

لما كانت كلمة الشهادتين هي أصل الدين، والباب الذي يدخل به الإنسان إلى التحقق بوصف المسلمين، وكانت هي حقيقة العقيدة وكنز الأسماء والأوصاف الإلهية، فقد بينا العقيدة وما كان عليه السلف الصالح من فهم كلمة الشهادتين وفضائلها في كتاب: (أصول الوصول) بتفصيل لا يحتاج إلى مزيد بالعبارة، ولكن يكون مزيده بالمواهب الربانية والمنن للمخلصين المستبصرين، الذين حصلوا الأصول الواجبة عليهم، وكان المزيد من الله تعالى الذي هو المواجهة والمنازلة ومشاهدة الآيات والإشراف على الملكوت، من الأمور التي لا يصح رسمها في كتاب؛ حتى يمن الله بها على السالك المخلص، خصوصًا من مشاهد التوحيد وأسرار التنزيه والتفريد، وأنوار الأحدية وغيوب الهوية، قال الله تعالى: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (آل عمران: ٧٤). فعلى من يريد الاطلاع على تفصيل ما انطوى في كلمة الشهادتين، أن يرجع إلى كتاب: (أصول الوصول) ومن أراد المزيد فليراجع تلك الإشارات في كتاب: (شراب الأرواح) والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعلنا من أهل الحسنى وزيادة، وأن يمنحنا الإخلاص لذاته العلية، والصدق في معاملته بجاه حبيبه المصطفى ﷺ.

طريقة السلف في تأدية أركان الإسلام

لما كانت تلك الأركان تتعلق بها علوم كثيرة، كعلم شروط وجوبها وصحتها، وعلم تأديتها، وعلم معرفة تمييز فرائضها وسننها، وعلم مواقيتها ومقاديرها وهيئاتها، وعلم مفسداتها، وما يجب على العامل إذا فسد عمله من قضاء أو جبر للعمل، وكانت كل تلك العلوم واجبة على كل مسلم أن يحصلها عند وجوب العمل عليه أو قبله؛ حتى يستعد للقيام بالعمل في وقته، وقد بينت أحكام تلك الأركان الأربعة بأسلوب يسهل على المبتدئ فهمه، ويحتاج المنتهي في العلوم إليه في كتاب: (أصول الوصول) لذلك لا أرى لزومًا لتكرارها في هذا المختصر؛ لأن هذا الكتاب مرتب على الكتب التي قبله.

ولكن لا بد من ذكر طريقة السلف الصالح في تأدية تلك الأركان وذكر فضائلها، ومشاهد أهلها حال عملها، وآدابهم حال الملابسة بها، ليكون ذلك حثًّا لهمم مريدي طريق الله تعالى، وتذكرة لأهل الإخلاص المشاهدين، ودرسًا مفيدًا لإخواننا المسترشدين، وضوابط نافعة للمرشدين، متحريًا في ذلك المشاهد الإلهية، التي يواجه الله تعالى بها من تحقق باليقين الحق، أو بعين اليقين في تلك المشاهد، قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)، وقال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ (المدثر: ٣١) وقال الله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ (مريم: ٧٦).

وكان هذا الكتاب إنما وضعته للسالكين حقيقة السنة وعمل الأئمة من الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين لهم بإحسان، على أني أنبه المطلع على تلك الفضائل أن يجاهد نفسه بقدر الاستطاعة على أن يتحقق بها، ولا يرى أن ذلك أمرًا مستحيلًا، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، وليشكر الله على ما وهب له من التوفيق للعمل، ويسأله المزيد ويديم المجاهدة، حتى يمنحه الله مواهب الصديقين والشهداء الذين شهدوا بما شهد الله سبحانه به، وشهدت به ملائكته ورسله عليهم الصلاة والسلام.

ولا يتصور أن تلك المواهب خاصة لا ينالها إلا قوم مخصوصون، فتقف همته عن طلبها، ويستصغر نفسه عن التشوف لها، فإن كل مؤمن بالله سبحانه وبما جاء به رسول الله ﷺ، عامل بالسنة، مؤهل أن ينال فضل الله بفضله سبحانه، ولو نظر السالك إلى أن هذا الفضل العظيم منَّ الله به على كثير ممن ليسوا بعرب، وليسوا من قريش، وليسوا من بني هاشم، وتحقق أنه فضل بدايته التسليم والتوفيق، ووسطه الإخلاص والصدق بعناية الله تعالى، ونهايته الفضل العظيم من الله تعالى.

فانهض يا أخي – أذاقك الله حلاوة التوحيد، ونعمك بمشاهد أهل اليقين – وجاهد نفسك متشبهًا بأهل القرب، عاملًا بأعمال الصديقين، لتشرق عليك أنوار المحبة، وتجمل بحلل العناية من الله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد: ٢١). وصلى الله على سيدنا محمد، شمس هذا الأفق المبين، وروح هياكل المقربين، ونور قلوب العارفين، وآله وصحبه وسلم.

الركن الثاني: الصلاة[1]

تعريف الصلاة:

الصلاة عماد الدين، والشكر بجميع الجوارح لرب العالمين، ومناجاة الله تعالى بكلامه العزيز، بها يتجمل العبد بأجمل حلله التي بها يجمله ربه ويحبه ويقبل عليه، وما يتعلق بها من الأحكام والشروط والوسائل التي لا تصح ولا تقبل إلا بها، وبيان هيئاتها وأوقاتها، تقدم ذكرها في كتاب: (أصول الوصول) مستوفاة كل حكم بمأخذه من السنة العملية والقولية والكتاب العزيز.

فضائل الصلاة وآدابها:

وأريد بعون الله وحسن توفيقه أن أبين هنا فضائلها وآدابها، وفضائل المصلين ومشاهد أهل اليقين فيها، فأقول والله وليي وحسبي ونعم الوكيل:

قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (طه: ١٤). وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٥). وقال تعالى: ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء: ٤٣)، قيل: سكارى من حب الدنيا، وقيل: من الاهتمام بها، وقال جل ثناؤه: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (المعارج: ٢٣) وقال النبي ﷺ: «من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا، غفر له ما تقدم من ذنبه» وقال ﷺ: «إنما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتباؤس وتنادم، وترفع يديك وتقول: اللهم، فمن لم يفعل فهي خداج – أي ناقصة -» روينا عن الله سبحانه وتعالى في الكتب السالفة أنه قال: «ليس كل مصل أتقبل صلاته، إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر عليَّ، وأطعم الفقير الجائع لوجهي ».

فمن الإقبال على الصلاة أن لا تعرف مَن على يمينك ولا مَن على شمالك، من حسن القيام بين يدي القائم على كل نفس بما كسبت، وكذلك فسروا قوله تعالى: ﴿ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (المؤمنون: ٢). وقال سعيد بن جبريل: ما عرفت من على يميني، ولا من على شمالي في الصلاة منذ أربعين سنة، منذ سمعت ابن عباس يقول: الخشوع في الصلاة أن لا يعرف المصلي مَن على يمينه وعن شماله. وروينا عن بشر بن الحرث قال: قال سفيان: من لم يخشع فسدت صلاته. وروينا عن معاذ بن جبل: من عرف مَن عن يمينه وشماله في الصلاة متعمدًا فلا صلاة له، وقد أسنده إسماعيل بن أبي زياد عن بشر بن الحرث وغيره. وعن الثوري أيضًا: من قرأ كلمة مكتوبة في حائط أو بساط في صلاته، فصلاته باطلة، وقال بشر: يعني بذلك لأنه عمل في الصلاة.

ومن الدوام في الصلاة السكون فيها، وعلى ذلك فسر قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ قيل: هو السكون والطمأنينة في الصلاة من قولك: ماء دائم، إذا سكن. وقال بعض الصحابة: يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئاتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء .

ومن وجود النعيم بها واللذة، إصغاء القلب للفهم وخشوعه للتواضع، وسكون الجوارح للهيبة، ثم الترتيل في القراءة والتدبر لمعاني الكلام، وحسن الافتقار إلى المتكلم في الإفهام والإيقاف على المراد، وصدق الرغبة في الطلب للاطلاع على المطلع من السر المكنون المستودع في الكتاب، وإن مر بآية رحمة سأل ورغب، أو آية عذاب فزع واستعاذ، أو مر بتسبيح أو تعظيم حمد وسبح وعظم، فإن قال بلسانه فحسن، وإن أسره في قلبه، ورفع به همه، ناب قصده عن المقال، وكان فقره غاية السؤال، وهذا أحد الوجهين في قوله تعالى: ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ (البقرة: ١٢١) هكذا كان وصفهم في التلاوة.

وينبغي أن يكون قلبه بوصف على ركن من أركان الصلاة، وهمه معلق بكل معنى من معاني المناجاة، فإذا قال: الله أكبر أي: مما سواه، ولا يقال: أكبر من صغير، إنما يقال أكبر من كبير، فيقال: هذا كبير وأنا أكبر، فإن كان همه الملك الكبير كان ذكر الله أكبر في قلبه، فليواطئ قلبه قول مولاه في قوله تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، ويواطئ لسانه قلبه في مشاهدة الأكبر، فيكون يتلو وينظر، فإن الله تعالى قدم العين على اللسان في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ (البلد: ٨-٩) فلا يقدم لسانه ويؤخر بصره، ويكون عقده محققًا لمقاله بالوصف، حتى يكون عاملًا بما يقول في الحال، فقد أخذ عليه ذلك لما أمر به حجة عليه وتنبيهًا له .

ولا يكون بقوله: «الله أكبر» حاكيًا ذلك عن قول غيره، ولا مخبرًا به عن سواه، بل يكون

بينت أحكام أركان الإسلام الأربعة بأسلوب يسهل على المبتدئ فهمه، ويحتاج المنتهي في العلوم إليه في كتاب: (أصول الوصول) لذلك لا أرى لزومًا لتكرارها في هذا المختصر؛ لأن هذا الكتاب مرتب على الكتب التي قبله.

الموقن إذا توضأ للصلاة، تباعدت عنه الشياطين في أقطار الأرضين خوفًا منه؛ لأنه يتأهب للدخول على الملك، فإذا كبَّر حجب عنه إبليس وضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر إليه، وواجهه الجبار بوجهه.

هو المتحقق بالمعنى القائم بالشهادة، وهذا عند أهل المعرفة واجب؛ لأن الإيمان قول وعمل في كل شيء، فإذا قلت: الله أكبر، فإن العمل بالقول أن يكون الله أكبر في قلبك من كل شيء، وهو من رعاية العهد لتدخل تحت الثناء والمدح في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: ٨) فالعهد ما أعطيت بلسانك، والرعاية الوفاء بالقلب، ليستحق الأجر العظيم كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح: ١٠) ومن كان في قلبه الملك الصغير الفاني أكبر من الملك الأكبر، فما عمل بقوله: الله أكبر، وليس هذا حقيقة الإيمان؛ لأنه لم يأت بعمل وقول، وإنما جاء بالقول.

وهذا قائم بنفس من مشاهدته الآخرة وكانت قرة عينه الآخرة كما قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾ يعني الدنيا ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (النحل: ٩٦) يعني الآخرة، وقد قال ﷺ: «جعلت قرة عيني في الصلاة»؛ لأنه كان عند ربه فجعل قرة عينه به، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (العنكبوت: ٤٥) فالمذكور أكبر وأكبر.

وقد أخبر تعالى أن الصلاة أريد بها الذكر في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ وروى معنى ذلك عن رسول الله ﷺ إنما فرضت الصلاة، وأمر بالحج والطواف، وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله، فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغي عظمة ولا هيبة، فما قيمة ذكرك ؟. وقال رسول الله ﷺ لأنس بن مالك: «وإذا صليتَ صلاةً فصل صلاة مودع لنفسه، مودع لهواه، مودع لعمره، سائر إلى مولاه» كما قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ (الانشقاق: ٦)، وكقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ (البقرة: ٢٢٣) وقال النبي ﷺ: «جعلت قرة عيني في الصلاة »، وكان يرى الأكبر فتقر عينه به.

وقال: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدًا» كما قال: «من لم يترك قول الزور والخيانة فليس لله تعالى حاجة في أن يترك طعامه وشرابه» فإنما المراد من الصلاة والصيام المخالفة من الآثام.

ومن إقامة الصلاة وإتمامها الوضوء لها قبل دخول وقتها، لئلا يشغله عن أول وقت غيرها، وينبغي أن يكون قلبه في همه، وهمه مع ربه، وربه في قلبه، فينظر إليه من كلامه، ويكلمه بخطابه، ويتملقه بمناجاته، ويعرفه من صفاته، فإن كان كلمة عن معنى اسم أو وصف أو خلق أو حكم أو إرادة أو فعل؛ لأن الكلم ينبئ عن الأوصاف، ويدل على الموصوف، وكل كلمة من الخطاب تتوجه عشر جهات، للعارف من كل جهة مقام ومشاهدات، أول الجهات الإيمان بها، والتسليم لها، والتوبة إليها، والصبر عليها، والرضا بها، والخوف منها، والرجاء لها، والشكر عليها، والمحبة لها، والتوكل فيها، فهذه المقامات العشرة هي مقامات اليقين؛ لأن الكلمة هي حق اليقين، وهذه المعاني كلها منطوية في كل كلمة يشهدها أهل التملق والمناجاة، ويعرفها أهل العلم والحياة؛ لأن كلام المحبوب حياة القلوب، لا ينذر به إلا حي، ولا يحيى به إلا مستجيب، قال الله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾ (يس: ٦٩-٧٠) وقال سبحانه: ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٤).

ولا يشهد هذه العشر مشاهدات إلا من نقل في العشر مقامات المذكورة في سورة الأحزاب أولها مقام المسلمين وآخرها مقام الذاكرين، وبعد مقام الذكر هذه المشاهدات العشر، فعنده ألا يمل المناجاة لوجود المصافاة، ولا يثقل عليه القيام للذاذة والإفهام، ويسهل عليه الوقوف لدنو العطوف، ويتنعم بالعتاب بحلاوة الاقتراب، هنالك يندرج طول القيام في التلاوة فلا يجده، كاندراج القبلة في الصلاة فلا يشهدها، فيكون من ورائه القبلة وهو أمامها، كذلك القيام يحمله وهو مع حامله.

حدثت أن الموقن إذا توضأ للصلاة، تباعدت عنه الشياطين في أقطار الأرضين خوفًا منه؛ لأنه يتأهب للدخول على الملك، فإذا كبَّر حجب عنه إبليس وضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر إليه، وواجهه الجبار بوجهه، فإذا قال: الله أكبر، اطلع الملك في قلبه، فإذا ليس في قلبه أكبر من الله تعالى، فيقول: صدقت، الله تعالى في قلبك كما تقول، قال: فيتشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش، فيكشف له بذلك النور ملكوت السموات والأرض، ويكتب له حشو ذلك النور حسنات.

قال: وإن الغافل الجاهل إذا قام للوضوء احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب على نقطة العسل، وإذا كبَّر اطلع الملك في قلبه، فإذا كل شيء في قلبه أكبر من الله تعالى عنده، فيقول له: كذبت ليس الله في قلبك كما تقول، قال: فيثور في قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابًا لقلبه، قال: فيرد ذلك الحجاب صلاته ويلتقم الشيطان قلبه، فلا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس إليه ويزين له حتى ينصرف من صلاته، ولا يعقل ما كان فيه، وقد جاء في الخبر: لولا أن الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات.

وروينا عن رسول الله ﷺ أنه رأى في القبلة نخامة فغضب غضبًا شديدًا، ثم حكها بعرجون كان في يده وقال: «ائتوني بعبير» فلطخ أثرها بزعفران، ثم التفت إلينا فقال: «أيكم يحب أن يبزق في وجهه؟ فقلنا: لا أينا، قال: فإن أحدكم إذا دخل في صلاته فإن الله عز وجل بينه وبين القبلة» وفي لفظ آخر: «واجهة الله تعالى فلا يبزقن أحدكم تلقاء وجهه، ولا عن يمينه، ولكن عن شماله، أو تحت قدمه اليسرى، فإن بدرته بادرة فليبصق في ثوبه وليقلبه هكذا: ودَلَك بعضه ببعض» .

وقد روى: إذا قام العبد في صلاته وقال: الله أكبر، قال الله لملائكته: ارفعوا الحجاب بيني وبين عبدي، فإذا التفت، يقول الله تعالى: عبدي إلى من تلتفت، أنا خير لك ممن تلتفت إليه، ثم إذا قام المقبل على صلاته شهد قلبه قيامه لرب العالمين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم شهد وقوفه بالحضرة بين يدي الملك الجبار، إذ ليس من الغافلين، فتأخذه غيبة الحضور، ويرهقه إجلال الحاضر، ويستولي عليه تعظيم القريب، ويجمعه خشية الرقيب، فإذا تلا وقف همه مع المتكلم ماذا أراد، واشتغل قلبه بالفهم عنه والانبساط منه، فإن ركع وقف قلبه مع التعظيم

للعظيم، فلا يكون في قلبه أعظم من الله تعالى وحده، فإن رفع شهد الحمد للمحمود فوقف مع الشكر للودود، فاستوجب منه المزيد، وسكن قلبه بالرضا؛ لأنه حقيقة الحمد، وإن سجد سما قلبه في العلو فقرب منه الأعلى؛ لقوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (العلق: ١٩).

وأهل المشاهدة في السجود على ثلاثة مقامات:

- منهم من إذا سجد كوشف بالجبروت الأعلى، فيعلو إلى القريب ويدنو من القريب، وهذا مقام المقربين من المحبوبين.

- ومنهم من إذا سجد كوشف بملكوت العزة، فيسجد على الثرى الأسفل عند وصف من الأوصاف القادر الأجل فيكسر قلبه، ويخبت تواضعًا وذلًّا للعزيز الأعلى، وهذا مقام الخائفين من العابدين.

- ومنهم من إذا سجد جال قلبه في ملكوت السماوات والأرض، فآب بظرائف الفوائد، وشهد غرائب الزوائد، وهذا مقام الصادقين من الطالبين.

- وهناك قسم رابع لا يذكر بشيء ليس له وصف فيستحق المدح، وهم الذين يجول هممهم في أعطية الملك وأنصبة المماليك، فهم محجوبون بالهمم الدنيئة عن الشهادة العلية، محجوبون بالهوى عن السياحة إلى الإعلام.

فإن دعا هذا المصلي نظر إلى المدعو فكان هو المرجو، فأخذ في التمجيد والثناء والحمد والآلاء، ونسى حاجته من الدنيا، واشتغل عن نفسه بالمولى، وعن مسألته بحسن الثناء.

وإن استغفر هذا الداعي تفكر في أوصاف التوبة وأحكام التائب، وتفكر ما سلف من الذنوب فعمل في تصفية الاستغفار، وإخلاص الإنابة والاعتذار، وجد وعقد الاستقامة فيكون له بهذا الاستغفار من الله عز وجل تحية وكرامة.

ففي مثل صلاة هذا العبد وردت الأخبار أن العبد إذا قام إلى الصلاة، رفع الحجاب بينه وبين الله وواجهه بوجهه، وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء فيصلون بصلاته، ويؤمنون على دعائه، وأن المصلي لينثر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه، وينادية مناد لو يعلم المناجي من يناجي ما خرج، وأن أبواب السماء تفتح للمصلين، وأن الله تعالى يباهي ملائكته بصفوف المصلين، وفي التوراة المكتوب: يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي مصليًا باكيًا، فأنا الله تعالى الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري .

قال: وكنا نرى أن تلك الرقة والبكاء، وتلك الفتوح التي يجدها المصلي في قلبه من دنو الرب تبارك وتعالى من القلب.

وقال رجل للنبي ﷺ: ادع الله تعالى أن يرزقني مرافقتك في الجنة، فقال: «أعني بكثرة السجود»، وروينا عن النبي ﷺ: «ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة، ولو كان شيء أحب إليه من الصلاة لتعبد به ملائكته، منهم راكع وساجد وقائم وقاعد » أو كما قال بعض العلماء: الصلاة خدمة الله عز وجل في أرضه، وقال آخر: المصلون خدام الله عز وجل على بساطه. ويقال: إن المصلين من الملائكة يسمون في السموات خدام الرحمن، ويفخرون بذلك على سائر المرسلين من الملائكة.

ويقال: إن المؤمن إذا صلى ركعتين عجب منه عشر صفوف من الملائكة، كل صف منهم عشرة آلاف، وباهى الله تعالى به مائة ألف ملك، وذلك أن العبد قد جمع فيه أركان الصلاة الأربعة من القيام والقعود والركوع والجلوس وفرّق ذلك على أربعين ألف ملك، والقائمون لا يركعون إلى يوم القيامة، والساجدون لا يرفعون إلى يوم القيامة، وكذلك الراكعون والقاعدون، ثم قد جمع الله له أركان الصلاة الستة، من التكبير والتلاوة والحمد والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي ﷺ وفرق ذلك على ستين ألف ملك؛ لأن كل صف من الملائكة عبادته ذكر من الأذكار الستة، فإذا رأت الأملاك ما جمع فيه من الأركان الستة والأذكار في ركعتين، عجبت منه وباهاهم الله تعالى به؛ لأنه قد فرق تلك الأعمال والأركان على مائة ألف ملك، وبذلك فضل المؤمن على الملائكة، وكذلك فضل الموقن أيضًا في مقامات اليقين من أعمال القلوب على الأملاك، بالتنقيل في المقامات، بأن جمعت فيه ورفع منها .

والملائكة لا ينقلون، بل كل ملك موقوف في مقام معلوم، لا ينقل عنه إلى غيره، مثل الشكر والخوف والرجاء والشوق والأنين والخشية والمحبة، بل كل ملك له مزيد وعلو من المقام الواحد على قدر قواه، وجمع ذلك كله في قلب الموقن، قال الله تعالى: وهو أصدق القائلين في صفات أوليائه المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون: ١-٣) فمدحهم بالصلاة كما ذكرهم بالإيمان، ثم مدح صلاتهم بالخشوع، كما افتتح بالصلاة أوصافهم، ثم قال في آخرها: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (المؤمنون: ٩) فختم بها نعوتهم، وقال في نعت عباده المصلين الذين استثناهم من الذين يجزعون من المصائب والفقر والمانعين للمال والخير: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (المعارج: ٢٢-٢٣) ثم نسق النعوت وقال في آخرها: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (المعارج: ٣٤)، فلولا أنها أحب الأعمال إليه، ما جعلها مفتاح صفات أحبائه وختامها، ولما وصفهم بالدوام والمحافظة عليها، ومدحهم بالخشوع فيها .

والخشوع هو انكسار القلب وإخباته، وتواضعه وذلته، ثم لين الجانب وكف الجوارح، وحسن صمت وإقبال، والمداومة والمواظبة عليها، وسكون القلب والجوارح فيها.

والمحافظة هي حضور القلب وإصغاؤه، وصفاء الفهم وإفراده، من مراعاة الأوقات، وإكمال طهارة الأدوات.

ثم قال تعالى في عاقبة المصلين: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠ - ١١). فجعل أول عطائهم الفلاح، وهو الظفر والبقاء، وآخره الفردوس هو خير المستقر والمأوى، وقال في أضدادهم من أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ (المدثر: ٤٢-٤٣) .وقال موبخًا لآخر منهم: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾ (القيامة: ٣١) ونهى رسول الله ﷺ عن طاعة من نهاة عن الصلاة، ثم أمره بها وأخبره أن فيها القرب والزلفى في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ (العلق: ٩-١٠) ثم قال: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (العلق: ١٩).

فالمصلون بقيته من خلقه، وورثة جنته من عباده، وأهل النجاة من دار غضبه وإبعاده، جعلنا الله منهم بعطفه ورحمته.

كل ملك موقوف في مقام معلوم، لا ينقل عنه إلى غيره، مثل الشكر والخوف والرجاء والشوق والأنين والخشية والمحبة، بل كل ملك له مزيد وعلو من المقام الواحد على قدر قواه، وجمع ذلك كله في قلب الموقن.

(١) راجع كتاب (قوت القلوب) لأبي طالب المكي.

الإنسان خليفة الله في الأرض (٣٦)

مقدمة

لما كان الإنسان جوهرة عقد المخلوقات وعجيبة العجائب، وقد جمع الله فيه كل حقائق الوجود مما خلقه في الأرض والسماء وما فيهما، خلقه الله ليعمر به ملكه وملكوته، وجعله خليفة عنه في أرضه، والخليفة في الأرض هو سيد مَن في الأرض ومَن في السماء، وجعل له ملك الأرض مقرًّا للإقامة ومستقرًّا له بعد موته، ثم ينشئه النشأة الثانية، فيمنحه الملك الكبير.

لذلك ابتلاه الله تعالى بأن سخر له ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه، وصرَّفه تصريف الربوبية في المُلْك، فكل ما في المُلْك والمَلَكُوت مسخَّر له بإذْنه تعالى.

فإن ذَكَر اللهَ وأطاعه من غير أن يعصيه، وشَكَره فلم يكفره، ووحَّده فلم يجحده؛ تفضل عليه بالملك الكبير، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ (الإنسان: ٢٠)، وهذا الملك الكبير هو للإنسان الذي اتبع رسول الله ﷺ حق الاتباع. وللعقول أن تحتار في الإنسان!، فبينا تراه وروحه الطاهرة سانحة في ملكوت الله الأعلى، مشرفة على قدس العزة والجبروت؛ وإذا بك تراه في أسفل سافلين، أضل من الأنعام وشرًّا من الشياطين، وفوق الأرواح العالية، بل فوق عالين، قال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ (محمد: ٣٥).

لذلك أحببت أن أشرح عجائب قدرة الله في الإنسان، وما سخره الله له من الكائنات، وسبيل نجاته وسعادته، ومهاوى هلاكه وضلاله، وما فصله الإمام المجدّد السيد محمد ماضي أبو العزائم عن حقيقة الإنسان، والحكمة من إيجاد الخلق، وبدء الحقيقة الإنسانية، وإرسال الرسل، وتأثير الإسلام على الإنسان، ونجاة الإنسان بالمصطفى ﷺ، وما ادعاه أهل الجهالة في خلق الإنسان ورد الإمام أبي العزائم عليهم؛ حتى يتبين للسالك حقيقة خلافة الإنسان عن ربه، ليسلك سبيل السعادة والنجاة، ويتعلق بالإنسان الكامل الذي خلق الله لأجله كلَّ الموجودات ﷺ.

* ارتبط مولد رسول الله والإمام علي والسيدة فاطمة بالكعبة.

* لـمَّا رزق رسول الله بالبنات بدت عليه علامات البهجة والسرور.

* تعدد ألقاب الزهراء يدل على تعدد أوصافها وشمائلها وكمالاتها.

بقية: من دعائم الدعوة الإسلامية

بقية:

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام رسول الله يغيّر المفاهيم الخاطئة بالفعل لا بالقول فقط:

معلوم أن حضرة النبيّ ﷺ رزق البنين والبنات فعاش له البنات، وتوفي البنون عن سن صغير، وإن مجرد أن يرزق الواحد في الجاهلية ببنت تكون هي الطامة الكبرى والعار الكبير المخجل.

وهنا يأتي دور المخلِّص ﷺ الذي خلص البشرية من الجاهلية العمياء؛ التي تنشر ظلماتها على شطر المجتمع المتمثل في النساء.

وقد وصف الله الحالة التي كان عليها الناس في الجاهلية في هذا الجانب فقال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

فلما رزق رسول الله بالبنات بدت عليه علامات البهجة والسرور، فبدأ رسول الله ﷺ يغير المفاهيم الخاطئة والعادات السيئة بالفعل لا بالقول فقط، فهو الذي بيَّن حق المرأة في الحياة والعيشة الكريمة في جميع أدوار حياتها.

فكانت ابنته الكبرى السيدة زينب والتي تزوجت بأبي العاص بن الربيع أكبر بناته، وكانت هي البشرى الأولى من البنات التي بشر بهن ﷺ، وبمولدها ابتهج، وقد أنجبت عليًّا وأُمامة، فأمَّا عليًّا فقد توفي صغيرًا، وأما أمامة فعاشت في ظل والديها حتى توفيت والدتها السيدة زينب، فعاشت في ظل جدها رسول الله ﷺ وكفالته، وقد كان رسول الله ﷺ يحب حفيدته أُمامة ويحملها على عاتقه وهو يُصلِّي، فإذا سجد وضعها حتى يقضي صلاته ثم يعود فيحملها.

السيد أحمد علاء أبو العزائم
نائب عام الطريقة العزمية

وأما السيدة رقية والسيدة أم كلثوم فتزوجتا من ابني أبي لهب، لكن الكفر فرَّق بين أبناء أبي لهب وبنات النبي ﷺ، وحظي بهما عثمان بن عفان فأُكْرم بهما حتى أُلقِّب بذي النورين.

فإن أبا لهب وزوجه قد أجبرا عتبة وعتيبة بتطليق بنتي سيدنا رسول الله ﷺ كفرًا وعنادًا لما نزلت سورة المسد، قال الواقدس: وإن أمهما - أم جميل بنت حرب ابن أمية - لما أنزل الله ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]، قالت هي وأبو لهب لعتبة وعتيبة: "وجهنا من وجهكما حرام إن لم تطلقاهما"، فطلقاهما فتزوجهما جميعًا عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ تزوج رقية فتوفيت عنده ثم تزوج بعدها أم كلثوم.

وأما السيدة فاطمة الزهراء فمنها نسل رسول الله ﷺ، ومنها انتشر النور الدائم إلى قيام الساعة.

السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

ومن دعائم الدعوة الإسلامية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وهي أصغر بنات النبيّ ﷺ، وقيل: إنها ولدت وقريش تبني الكعبة، وقد ابتهج وفرح رسول الله ﷺ بمولدها.

ونلاحظ أن كلا من سيدنا رسول الله ﷺ، والإمام عليّ والسيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام؛ ارتبط مولدهم بالكعبة.

فقد ولد سيدنا محمد ﷺ في عام الفيل الذي نجى الله فيه الكعبة، ورد سبحانه أبرهة بفيله برجم أبابيل.

وولد سيدنا عليّ كرم الله وجهه داخل الكعبة ولف في أستارها.

وسماها رسول الله ﷺ فاطمة بإلهام من الله تعالى؛ لأن الله فطمها عن النار، قال رسول الله ﷺ: [يَا فاطمة أتدرينَ لِمَ سُمِّيتِ فاطمة؟]، قال الإمام عليّ: يا رسول الله، لم سميت فاطمة؟، قال: [إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَد فطمَهَا وذريتَها مِن النارِ يومَ القيامةِ].

وكان هذا الاسم محبوبًا عند أهل البيت عليهم السلام، يحترمونه ويحترمون من سميت به، وسأل الإمام الصادق عليه السلام أحد أصحابه - وقد رزقه الله بنتًا - بم سميتَها؟، قال الرجل: فاطمة. فأوصاه الإمام الصادق: فاطمة؟، سلام الله على فاطمة، أما إن سميتها فاطمة فلا تلطمها ولا تشتمها، وأكرمها.

أما لقبها الزهراء؛ فلأنها كانت نورانية اللون، وقد سئل أبو عبد الله الحسين عليه السلام عن فاطمة؛ لِمَ سُميت الزهراء؟، فقال: (لأنها كانت إذا قامت في محرابها يزهو نورها لأهل السماء كما يزهو نور الكواكب لأهل الأرض).

أما لقبها المحدثة: فلأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما كانت تنادي مريم ابنة عمران عليها السلام.

وكم من ألقاب لقبت بها السيدة الزهراء مما يدل على تعدد أوصافها وشمائلها وكمالاتها.

اجتماع الأنوار

وبعد مولد السيدة الزهراء بسنة شاء الله تعالى أن ينضم الأصلين المباركين فاطمة وعليّ عليهما السلام في بيت واحد هو بيت سيدنا رسول الله ﷺ، وكان عليّ عليه السلام حينئذ يبلغ من العمر ست سنوات.

فقد جاء في سيرة ابن هشام: أنه كان من نعمة الله على عليّ بن أبي طالب؛ ومما صَنع الله له وأراده به من الخير؛ أن قريشًا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول الله ﷺ للعباس – عمه؛ وكان من أيسر بني هاشم -: [يا عباس؛ إن أخَاكَ أبا طالب كثيرُ العيالِ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة فانطَلِقْ بنا إليه، فلنخفِّف عنه من عيالِه، آخذُ من بنيه رجلًا وتأخذ أنتَ رجلًا فنكفلهما عنه]، فقال العباس: نعم.

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلًا فاصنعا ما شئتما.

فأخذ رسول الله ﷺ عليًا فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرًا فضمه إليه.

صفاء رُوحيّ:

وبدأ الإمام عليّ مرحلة جديدة من مراحل حياته، في الوقت الذي كان رسول الله ﷺ يتحنف فيه في غار حراء، فلما أن شرف بحضانة رسول الله ﷺ شهد إرهاصات الرسالة التي كانت تتوالى على رسول الله ﷺ قبل البعثة.

لقد كان للإمام عليّ من الصفاء الرُّوحي ما به كوشف بما لا يُرى بالبصر ولا يُسمع بالأذن.

ذكر ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) عن الإمام جعفر الصادق قال: "كان عليّ يرى مع النبي ﷺ قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت".

وأخرج مسلم: أن رسول الله ﷺ قال: [إنِّي لأعْرِفُ حَجَرًا في مَكَّةَ كَانَ يسلِّم عَلَيَّ قبلَ أَنْ أُبْعَثَ].

وذكر الماوردي في كتابه (أعلام النبوة): أنه قبل البعثة بثلاث سنوات وكّل الله بالنبيّ ﷺ إسرافيل؛ كان يسمع حسه ولا يرى شخصه، يحدثُه ويخاطبُه وينادِيه بالنبوة.

وأخرج البيهقي في (دلائل النبوة) عن الإمام عليّ قال: (كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرج في بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال له: السلام عليك يا رسول الله).

وقد صرح الإمام عليّ عليه السلام عن حاله عند نزول الوحي على رسول الله ﷺ بعد البعثة في خطبته القاصعة قائلًا: ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزول الوحي عليه، فقلت: (يا رسول الله؛ ما هذه الرنة؟)، فقال ﷺ: [هذا الشيطانُ قد آيس من عبادتِه، إنكَ تسمعُ ما أسمعُ، وترى ما أرى، إلا أنكَ لستَ بنبيٍّ، ولكنكَ وزيرٌ، وإنكَ على خيرٍ].

فكل هذه الإرهاصات شهدها الإمام عليّ الذي كان لا يفارق رسول الله ﷺ.

نزول الوحي

واقترب الوقت الموعود الذي أُوحِيَ فيه إلى رسول الله ﷺ بغار حراء، فبعد مولد الإمام عليّ بعشر سنوات؛ وبعد خمس سنوات من مولد السيدة فاطمة الزهراء؛ بدأ نزول الوحي على رسول الله ﷺ بحراء، لتكون نقطة تحول للبشرية جمعاء بالإسلام.

لما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بُعث على رأس الأربعين.

وأول ما بدئ ﷺ من النبوة الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح أي: كضيائه.

وحبب إليه الخلوة، فكان وحده بغار حراء يتحنث فيه "أي: يتعبد" الليالي ذوات العدد، حتى إذا كان شهر رمضان وفي الليلة الموعودة أتاه جبريل فقال: [اقْرَأْ]، فقال ﷺ: [ما أنَا بقارئٍ] يقول ﷺ: [فغطني ثم أرسلني، فقال: اقْرَأْ]، فقلت: [ما أنَا بقارئٍ]. ففعل ذلك به ثلاث مرات، ثم قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١ – ٥]، فيقول ﷺ: [فقرأتُها، وانصرفَ عَنِّي وقد استقرَّ ذَلِكَ في قَلْبِي].

ولما قرأ ﷺ تلك الآيات رجع حتى دخل على السيدة خديجة فقال: [زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي] فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوْع، ثم أخبرها بقصة الوحي فقالت: (واللهِ لا يخزيكَ اللهُ أبدًا، إنك لتصل الرَّحِم، وتقري الضيف، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق).

ثم آمنت به ﷺ؛ فكانت عليها السلام أول من آمن برسول الله ﷺ. (النجاة في سيرة سيدنا رسول الله) للإمام أبي العزائم رضي الله عنه.

عبقرية الإمام عليّ (٣٤)

المفكر الإسلامي الكبير
المرحوم عباس محمود العقاد

بقية: ثقافته

إن فن الثقافة الذي يقاس بمقياس كل زمن، فإذا هو عظيم في جميع هذه المقاييس، قليل الفوارق بين البدايات منه والنهايات، فذلك هو فن الكلم الجامعة أو فرائد الحكمة التي قلنا آنفًا: إنها تسجل له في ثقافة الأمم عامة كما تسجل له في ثقافة الأمة الإسلامية، على تباين العصور.

فالكلم الجوامع التي رويت للإمام طراز لا يفوقه طراز في حكمة السلوك على أسلوب الأمثال السائرة.

وقد قال النبي ﷺ: "علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل".

فهذا الحديث الشريف أصدق ما يكون على الإمام علي في حكمته، التي تقارن بحكم أولئك الأنبياء.

فهي من طراز الحكم المأثورة عن أشهر أولئك الأنبياء بالمثل السائر، وهو سليمان بن داود.

ويزيد عليها أنها أبدع في التعبير، وأوفر نصيبًا من ذوق الجمال، كقوله مثلًا: "نفس المرء خطاه إلى أجله" ... أو قوله: "من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة" ... أو قوله: "المرء مخبوء تحت لسانه". أو قوله: "الحلم عشيرة" ... أو قوله: "من لان عوده كثفت أغصانه". أو قوله: "كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع". إلى أشباه هذه التعبيرات الحسان، التي تحار فيها أي مزاياها أفضل وأقوم: صدق المعنى، أو بلاغة الأداء، أو جودة الصناعة ...

وبعض أقواله ينضح بدلائل "الشخصية" التي تلازم صاحب الفن الأصيل، فتلبس معانيه لباسًا من خوالج نفسه وأحداث زمانه، كما قال: "صواب الرأي بالدول، يقبل بإقبالها ويذهب بذهابها". أو كما قال: "ما أكثر العبر وأقل الاعتبار" ... أو كما قال: "شاركوا الذي أقبل عليه الرزق، فإنه أخلق للغنى وأجدر بإقبال الحظ عليه" ... أو كما قال: "إذا هِبت أمرًا فقع فيه، فإن شدة توقيه أعظم مما نخاف منه" ... أو كما قال: "لا يقيم أمر الله - سبحانه - إلا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع".

وله عدا هذه الحكم التي تلونت بألوان نفسه أو ألوان زمانه، حكم كثيرة تصدر من كل قائل يقدر عليها، وتنفذ إلى كل سامع يفطن لها كقوله: "كل معدود منقض وكل متوقع آت". أو قوله: "إذا كثرت القدرة قلت الشهوة". أو قوله: "أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه" ... أو قوله: "من نصب نفسه للناس إمامًا، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم". أو قوله: "الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤنسهم من روح الله، ولم يؤمنهم من مكر الله" ... أو قوله: "قيمة كل امرئ ما يحسنه". أو قوله: "العاقل هو الذي يضع الشيء مواضعه". أو قوله: "الصبر صبران: صبر على ما تكره، وصبر على ما تحب". أو قوله: "من ملك استأثر". أو قوله: "الناس أعداء ما جهلوا" ... أو قوله: "القرابة إلى المودة أحوج من المودة إلى القرابة" ...

وله في المواقف المرتجلة كلمات هي أشبه الكلمات بأسلوب الحكمة السائرة ... فلما خرج وحده لبعض المهام، التي تردد فيها أنصاره، قالوا له يشيرون إلى أعدائه: "يا أمير المؤمنين نحن نكفيكهم". فقال: "ما تكفونني أنفسكم فكيف تكفونني غيركم؟ ... إن كانت الرعايا قبلي لتشكو حيف رعاتها، وإنني اليوم لأشكو حيف رعيتي، كأنني المقود وهم القادة، أو الموزوع وهم الوزعة".

ورثى محمد بن أبي بكر حين بلغه مقتله على أيدي أصحاب معاوية فقال: "إن حزننا عليه قدر سرورهم به، إلا أنهم نقصوا بغيضًا ونقصنا حبيبًا" ...

فكل نمط من أنماط كلامه، شاهد له بالملكة الموهوبة في قدرة الوعي وقدرة التعبير ... فهو ولا شك من أبناء آدم الذين علموا الأسماء وأوتوا الحكمة، وفصل الخطاب.

وقد أخطأ "موير" المؤرخ الإنجليزي حين قال: إن عليًّا حكيم كسليمان، وهو مثله حكمته لغيره ... يعني أنه ينصح الناس ولا

ينتفع بالنصيحة، فإن "موير" أحجى أن يفرق بين عمل الإنسان بنصحه وبين انتفاعه بنصحه، ولا شك أن عليًّا كان من العاملين بما يقولون، ومن المنتصحين بما ينصح به الناس، أما أنه ينتفع بحكمته، فالطبيب لا يقدح في علمه أنه قد أعياه علاج نفسه بطبه ... فقد يكون الإخفاق من استعصاء الداء لا من صحة الدواء.

ولا يفوتنا أن بعض هذه النصائح، قد نسب إلى قالة من الأوائل غير الإمام ﷺ وهذا يستطرد بنا مرة أخرى إلى الصحيح والمنحول من كلام الإمام، الذي جمعه الشريف الرضي في "نهج البلاغة"، وفرغ من جمعه بعد مقتله بزهاء أربعة قرون، وهو بحث يخرج بنا من موضوع هذا الكتاب إلى دراسة أدبية ليست من أغراضنا الخاصة في التعريف بعبقرية الإمام ... فحسبنا أن أسلوب الإمام معروف في بعض ما ثبت له من رسائله وخطبه، وأن طابع هذا الأسلوب شائع في الكتاب لا تقدح فيه كلمة ظاهرة التلفيق هنا، أو كلمة ظاهرة الإقحام هناك، أو كلمات يقع فيها الالتباس لاختلاف الصناعة أو اختلاف التفكير، فنحن لا نخطئ أن نرى في هذه الخطب والرسائل والأمثال وحدة تتصل حينًا، وتنقطع حينًا، كالوحدة التي نراها بغير انقطاع في كتب الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد ... وهذه الوحدة وحدها مغنية لنا في تبيان ثقافة الإمام، أو تذوق أسلوبه الذي لا تخطئ فيه مرة جزالة البادية، وصقل الحاضرة، وحسن البداهة، وامتزاج الصناعة بالطبع الذي لا تكلف فيه ...

ولا يتم القول في ثقافة الإمام علي ﷺ ما لم تتممه بالقول في نصيبه من الثقافة العسكرية أو فن الحرب، الذي هو مضماره الأول ومناط شهرته التي تبرز فيها صفة الشجاعة قبل كل صفة، وكفاءة المناضل قبل كل كفاءة ...

فجملة ما يقال في هذا الصدد، أن فن الإمام العسكري هو فن البطل المغوار الذي يناضل الأفراد، وينفع الجيش الذي هو فيه بقدوة الشجاعة، وإذكاء الحماسة، وتعزيز الثقة بين صفوفه، وأنه يعرف كيف يكون الهجوم حيث يجب الهجوم، وكيف يحتال على عدوه بما يخلع قلبه، ويفت في عضده ... ومن حيله المشهورة في توهين عزم عدوه، أنه أمر بعقر الجمل في الوقعة المعروفة باسمه؛ لأنه كان علم القوم الذين كانوا يلتفون به ويثبتون بثبوته ...

وهذا كله فن البطل المغوار الذي يفرق العسكريون بينه وبين خطط القيادة وفنون التعبئة وتحريك الجيوش ...

ولم يرد لنا من أنباء الإمام في هذا الباب ما نحكم به على قيادته العسكرية بهذا الاعتبار ... نعم ... إنه كان يقسم جيشه إلى ميمنة وميسرة، وقلب وطليعة ومؤخرة، وأشباه ذلك من التقسيمات التي جرى عليها في وقعة صفين على التخصيص.

وكانت له وصاياه المحفوظة في تسيير الجيوش، وتأديب الجند ومعاملتهم لسكان البلاد، ومنها قوله: "إذا نزلتم بعدو أو نزل بكم، فليكن معسكركم من قبل الإشراف وسفاح الجبال، أو أثناء الأنهار، كيما يكون لكم ردءًا ودونكم ردًّا، ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين، واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ومناكب الهضاب؛ لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن، واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم، وإياكم والتفرق فإذا نزلتم فانزلوا جميعًا، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعًا، وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة - أي: محيطة بكم - ولا تذوقوا النوم إلا غرارًا أو مضمضة" ...

ومنها قوله: "ولا تسر أول الليل، فإن الله جعله سكنًا وقدره مقامًا لا ظعنًا". ومنها قوله للولاة: "إني سيرت جنودًا هي مارة بكم إن شاء الله، وقد أوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الأذى وصرف الشذى، وأنا أبرأ إليكم وإلى ذمتكم من معرة الجيش إلا من جوعة المضطر لا يجد عنها مذهبًا إلى شبعه، فنكلوا من تناول منهم شيئًا ظلمًا عن ظلمهم، وكفوا أيدي سفهائكم عن مضارتهم والتعرض لهم".

وهذه وما هو من قبيلها، مناهج موروثة أو أدب هو أقرب إلى نظام الإدارة منه إلى خطط التعبئة، وقيادة الميدان ...

وعلى كونه قد اتبع هذه التقسيمات والمناهج في وقعة صفين، لم تكن الوقعة كلها إلا مناوشات هجوم ودفاع بين طوائف متفرقة في أوقات متباعدة ... كأنها ضرب آخر من ضروب فن الحرب على طريقة الفارس المناضل، والبطل المفرد في موقف المبارزة أو في غمار الصفوف.

وخلاصة ذلك كله، أن ثقافة الإمام هي ثقافة العلم المفرد، والقمة العالية بين الجماهير في كل مقام ...

وأنها هي ثقافة الفارس المجاهد في سبيل الله، يداول بين القلم والسيف، ويتشابه في الجهاد بأسه وتقواه ... لأنه بالبأس زاهد في الدنيا مقبل على الله، وبالتقوى زاهد في الدنيا مقبل على الله ...

فهو فارس يتلاقى في الشجاعة دينه ودنياه، وهو عالم يتلاقى في الدين والدنيا بحثه ونجواه.

- أخطأ (موير) المؤرخ الإنجليزي حين قال: إن عليًّا حكيم كسليمان، وهو مثله حكمته لغيره ... يعني أنه ينصح الناس ولا ينتفع بالنصيحة، فإن (موير) أحجى أن يفرق بين عمل الإنسان بنصحه وبين انتفاعه بنصحه، ولا شك أن عليًّا كان من العاملين بما يقولون، ومن المنتصحين بما ينصح به الناس، أما أنه ينتفع بحكمته، فالطبيب لا يقدح في علمه أنه قد أعياه علاج نفسه بطبه ... فقد يكون الإخفاق من استعصاء الداء لا من صحة الدواء.

المقاربة التداولية البلاغية والتلقي الاستجاعي لرائية الخنساء (٨)

بقية: تحليل الرائية

المقطع العاشر:

فى جوف لحد مقيم قد تضمنه
فى رمسه مقمطرَّات وأحجار
طلق اليدين لفعل الخير ذو فجر
ضخم الدسيعة بالخيرات أمَّار
ليبكه مقتر أفنى حريبته
دهر وحالفه بؤس وإقتار
ورفقة حار حاديهم بمهلكة
كأن ظلمتها فى الطخية القار
لا يمنع القوم إن سألوه خلعته
ولا يجاوزه بالليل مرَّار

هكذا تصوغ الخنساء قصيدتها، كلما زاد وجدها، ذكرت موته، وكيف أن موته كان فى هيجاء معضلة، وتعتبر الدهر خصمها وهو سبب كل ما أصابها من ضرر، فيدفعها ذلك للحديث عن أخلاقه وصفاته الحميدة كما اتضح فيما سبق، فهو الكريم المنقطع للعطاء، تباهى به العرب، وتتوالى المقاطع ويتصل بعضها ببعض فى سياق إبداعى تظهر من خلاله براعة الخنساء فى اختيار ألفاظها وتراكيبها التى توظفها فى سياقات متفاوتة فى الصياغة أحيانًا متقاربة، أو مكررة فى معانيها، لتثبيت كينونة صخر بالإخبار عنه كأنه حيى يرزق، تكثر من المضارع والاسمية.

والبيت كمعظم أبيات القصيدة مستأنف، وتلك هى المرة الأولى التى تبدأ فيها بالجار والمجرور (فى جوف لحد)، هو (مقيم)، مسندًا مؤخرًا ولفظ مقيم استعارته بدلًا عن (مدفون)، فإذا كانت الإقامة للأحياء فهو حي فى ذاكرتها حين قالت: (كأن عينى لذكراه إذا خطرت)، فهى تأبى أن يكون ميتًا مدفونًا، على سبيل الاستعارة التبعية فى اسم المفعول (مقيم)، تصل بذلك ما انقطع فى قولها: (ودونه من جديد الترب أستار).

تشعر الخنساء بالحسرة، لما آل إليه أخوها، وتقدم الجار والمجرور (فى جوف)، كما قدمت (فى رمسه) فالتقديم جعل اللحد مقره وهو الأولى بتقديمه، فكأن اللحد والرمس قد صارا موطنه، ومحل أقامته، و(قد) التوكيدية التى تنشرها فى الأبيات يتبعا الفعل الماضي، فتعود صيغة قد كان مرة أخرى، تتحسر، فإقامة صخر ليست مريحة؛ لأنه محاط بالصخور والأحجار، والبيت ينضح استسلامًا وخضوعًا، لإرادة الدهر.

ولكن الحديث عن اللحد يوقع الخنساء فى حالة اضطراب ومغالطة، تأبى أن تستمر فيها، فإن صخرًا (البو) الماثل أمامها الموجود بخصاله الجميلة، لا بد أن يظل بعيدًا عن واقع (قد كان)، لذلك تعود لتستكمل أوصافه مكررة صفة الكرم بصياغة أخرى تقول: (طلق اليدين لفعل الخير) أفعاله الخيرة، تمتدح كرمه الذى طالما ذكرته، بمختلف الأساليب، منها الصفة المشبهة (طلق اليدين)، صفة مشبهة، كناية عن كرمه واندفاعه لعمل الخير، الذى طالما ذكرته، بمختلف الأساليب، ويكرر المعنى في (ذو فجر) بدون عاطف بمعنى عطاؤه مكشوف واضح توكيدًا لكرمه، والشطر الثانى (ضخم الدسيعة بالخيرات أمار) تكرار لمعنى للكناية عن صفة العطاء والكرم،، وصيغة المبالغة (أمار) وزن فعال، فهو يكثر من الأمر بتقديم الخير.

ولكن تعود الخنساء يتنازعها البكاء مرة أخرى، تعود وقد تملكتها مرارة الإحساس بفقد من كان خالصة لها دون باقى الأهل، تقول: (ليبكه مقتر أفنى حريبته دهر) واللام للأمر بغرض الحث،

فإن كل من أفنى الدهر ماله وتركه خاوي اليدين وضاق عيشه عليه أن يبكيه؛ لأن صخرًا كان عونًا له ضد تقلبات الدهر، هنا تضع صخرًا بكرمه فى مقابلة الدهر ببخله حين ينتزع من الناس ما يملكون، وعطف جملة (حالفه) على (ليبكه) للإشراك فى الحكم الإعرابى، عرضت فى البيت ثلاث صفات للشخص الذى يجب عليه البكاء: أن يكون مقترًا: أى ضاق عيشه، فنيت حريبته: أى فقد ماله، حالفه بؤس وإقتار: أى فقر وضيق عيش، لاحظ كيف تكررت المعانى؛ لأنها تتلذذ بالإطناب فى وصف كرمه، والمقتَر بفتح التاء خلاف المقتِّر بكسرها وتشديدها الذى يعنى (البخل).

ولا تكتفى الخنساء ببكاء المقتر فتعطف جملة (رفقة حار حاديهم بمهلكة) على (ليبكه مقتر) إشراكًا فى الحكم الاعرابى، بمعنى ولتبكه رفقة وحذف الفعل؛ لأنه معلوم من السياق، وهنا يعود بنا السياق إلى (وإن صخرًا لتأتم الهداة به) فلأنه الهادي وجب على الرفقة التى ضل حاديها طريقه أن تبكيه، فغياب صخر قد أثر على الرفقة الذين تحير هاديهم ومرشدهم الطريق، وتاهوا فى مهلة، كناية عن منطقة وعرة يتوه فيها الناس ويهلكون، وصف تلك المهلكة (كأن ظلمتها فى الطخية القار) والطخية الغيم الذى يوارى النجوم ، فتشبه ظلمتها الشديدة فى وجود الطخية بالقار، لتبالغ فى شدة سوادها.

وتختتم القصيدة ببيت مستأنف يعد مجرد امتداد لحديثها المطول عن كرم أخيها، لا يصلح كحسن اختتام، تقول:

لا يمنع القوم إن سألوه خلعته

ولا يجاوزه فى الليل مرار

الدكتورة

عزيزة عبد الفتاح الصيفى

أستاذة البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة الأزهر الشريف

يظن المتلقى أن آخر القصيدة مفقود؛ لأن حسن الاختتام يقتضى أن يأتى بحكمة، أو بما يتناسب مع الاستهلال فالخنساء بدأت بالبكاء والتوله على أخيها، وتلك الغصة التى فى أعماقها، وما يستوجب ذلك من تقبل حقيقة موته، وحسن الختم يكون جملة التمام، ولكن الشاعرة عادت لتكرر نفس الصفة التى ألحت على ذكرها بأساليب متنوعة، وفى أحوال متعددة مبالغة فى كرمه، ووصولًا به إلى أبعد الغايات، والبيت، إطناب يمتد فيه معنى الكرم، ويسود كرم لا مثيل له كرم فى كل اتجاه، وفى جميع الأحوال، فى المسغبة، والجدوب، والشدة، وقرى الضيف، وإيثاره على نفسه، إلى غير ذلك من أحوال؛ حتى تصل إلى حد أنه (لا يمنع الناس خلعته) جملة جواب شرط مقدمة على فعل الشرط (إن سألوه خلعته) تأكيدًا لهذا الكرم الذى زاد وفاض، وأصبح نوعًا من الإيثار، ووصل لدرجة أنه (لا يجاوزه فى الليل مرار) كناية عن كرمه الذى تباهى به قومها، ومرار بصيغة المبالغة، دليل كثرتهم، فهو الكريم المنقطع لهذه الخصلة، التى لطالما امتدحها العرب؛ حتى صارت من أهم صفاتهم.

هكذا تنهى قصيدتها وكأن باب الحديث عن صخر مفتوح ومستمر لا يغلق، ومعلوم أن معظم شعرها تمحور حوله، تنهى القصيدة التى أقامتها، وشيدتها لتصبح صرحًا من صروح الشعر الجاهلى فى الرثاء، قويًّا منيعًا بأساليب لغوية متينة السبك والحبك تختار اللفظ الفصيح، والحرف المكين لأداء الدور فى إبانة، وتمام المعنى، استطاعت الخنساء أن ترتفع بالمتلقى إلى ذروة التأثير والانفعال العاطفى.

مراجعة أسلوبية للقصيدة

إن رائية الخنساء لولا صدق التجربة، وقوة الأسلوب، وروعة الأداء، ما استمر تداولها بين المتلقين، من العصر الجاهلى إلى الآن، فقد استطاعت الشاعرة أن تضع في النص كل لواعج الأسى، والحزن على أخيها، فجعلته مؤثرًا فى المتلقى وحافزًا للتعاطف معها، إنها الباكية المستبكية، التى وظفت كل طاقات الأساليب البلاغية تأثيرًا لتجعل المتلقى يتعاطف معها.

أهمية اختيار بحر القصيدة:

من (البحر البسيط) وهو من البحور الطويلة، يعمد إليه كثير من الشعراء فى الموضوعات الجدية، ويمتاز بجزالة موسيقاه ودقة إيقاعه بما يناسب رثاء الخنساء.

والقصيدة ترتبط فيها الأبيات برابطة أسلوبية، احتاجت إلى مقاربة، وقراءة بلاغية تداولية متأنية، لإبراز أهم نواحى التنوع الأسلوبى، وطرق التعبير التى أسهمت فى بنائها.

نكتب بقلم الرصاص احتراماً لمحاة الرأى الآخر

فقه مالك والمالكية (١٣)

بقية: رجاله وعصره وآثارهم

بقية: المدخل:

تطور المذهب المالكي ونشوء مدارسه واستقرارها:

مفردة مذهب، ميمية المصدر على وزن مفعل، تدل على الذهاب إلى مقصد، وفي الفقه تدل على الأحكام التي ذهب إليها إمام من الأئمة المعتبرين، والمراد بالمذهب المالكي، ما قاله الإمام مالك وأصحابه على طريقته ونسب إليه، لكونه يجري على قواعده وأصله الذي بنى عليه مذهبه، فمن المسلم به أن أصحاب مالك قيدوا ما أطلق وخصصوا ما عمم من الآثار، ومع ذلك ينسب اجتهادهم إلى مذهب مالك؛ لأن تلاميذه نسجوا على منوال منهجه في الاستنباط، والفتوى، ومع التزام جميع تلاميذ مالك بنسبتهم إليه؛ إلا أن الواقع خصص ملامح مدارس تميزت في الإطار الكلي للمذهب المالكي نوجزها فيما يلي:

١- مدرسة الحجاز: وهي المدرسة الأم، وتمثل الاتجاه الأثري في المذهب ويمثلها تلامذة مالك المدنيين. والمدنيون مصطلح يقصد به كبار تلامذة مالك في المدينة من أمثال: عثمان بن عيسى بن كنانة (١٨٥هـ)، وعبد الله بن نافع بن الصائغ (١٨٦هـ)، وابن الماجشون (٢١٢هـ)، ومحمد ابن سلمة (٢١٦هـ)، ومطرف بن عبد الله بن مطرف (٢٢٠هـ) ونظرائهم، وتميّزت هذه المدرسة بالتزامها منهج الاعتماد على الحديث النبوي - بعد القرآن - مرجعًا للأحكام، دون نظر إلى كون عمل الصحابة والتابعين موافقًا له، أو غير موافق، وقد أيد هذا التيار من المصريين عبد الله بن وهب (١٩٧هـ) ومن الأندلسيين عبد الله بن حبيب (٢٣٨هـ). وظلت المدرسة الحجازية قوية نشطة في أداء رسالتها، وبث إشعاعها على كل بلاد الإسلام، تشد إليها رحال طلبة العلم من إفريقيا، والأندلس، ومصر، والعراق، وغيرها من البلاد، إلى أن أصابها بعض الفتور بسيطرة الفاطميين على المدينة منتصف القرن الرابع الهجري، ثم استعادت مكانتها ونشاطها بظهور قاضي المدينة: برهان الدين بن إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، اليعمري (٧٩٩ هـ).

الدكتور
محمد الإدريسى الحسنى
الجمهورية الليبية

٢- مدرسة العراق: كانت البصرة مسرحًا لبداية ظهور مذهب مالك في أرض السواد على يد بعض تلامذته كعبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري (١٩٨هـ) وعبد الله بن مسلمة بن قعنب (٢٢٢هـ) وغيرهما، لكن المذهب لم يظهر بقوة إلا في الطبقة التالية أيام قضاء آل حماد بن زيد، وكان منهم الحافظ أبو إسحاق ابن إسماعيل بن محدث البصرة حماد بن زيد الأزدي البصري ثم البغدادي المالكي، (٢٨٢هـ)، أحد الذين شُهد لهم بالاجتهاد بعد مالك، قال الباجي: (ولم تحصل هذه الدرجة بعد مالك إلا لإسماعيل القاضي) ترتيب المدارك (٢٨٢/٤). وهذه المدرسة تميل إلى التحليل المنطقي للمسائل الفقهية، والاستدلال الأصولي. ومن أبرز رجالات هذه المدرسة - والذين كان لهم تأثير واضح في تطورها-:

القاضي إسماعيل (٢٨٢هـ)، والشيخ أبو بكر الأبهري (٣٧٥هـ)، وعبد الله ابن الحسين ابن الجلاب (٣٧٨هـ)، والقاضي أبو الحسن بن القصار (٣٩٨هـ)، والقاضي عبد الوهاب (٤٢٢هـ)، وقد انقطعت هذه المدرسة بحدود ٤٥٢هـ وهي سنة وفاة الإمام أبو الفضل بن عمروس ، آخر فقهاء المالكية ببغداد.

٣- المدرسة المصرية: وقد احتلت مركز القيادة بين المدارس المالكية بزعامة ابن القاسم أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة (١٩١هـ)، واعتمدتها مدرسة إفريقية والأندلس اعتمادًا كليًّا، كما كانت سماعات ومرويات ابن عبد الحكم عن مالك، وهو أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكم مؤرخ من أهل العلم بالحديث. مصري المولد والوفاة (ت ٢٥٧هـ). وأشهب، وهو (مسكين) أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داوود بن إبراهيم القيسي الجعدي الفقيه المالكي المصري (ت ٢٠٤هـ) ذات حظوة عند المدرسة العراقية شاركتها فيها مدونة ابن القاسم لسحنون. وتعتبر هذه المدرسة رائدة منهج اعتماد العمل إلى جانب الحديث، خلافًا للمنهج الحجازي، وهذا المنهج المصري هو الذي ساد المذهب المالكي وتبنته أكثرية مدارس المذهب.

٤- المدرسة المغربية: كان المذهب السائد في المغرب وتونس، مذهب الإمام أبي حنيفة، إلى أن دخل علي بن زياد، وهو أبو الحسن علي بن زياد، الطرابلسي الليبي المولد، ثم التونسي، الفقيه المفتي، (ت ١٨٣ هـ) وابن أشرس وهو أبو مسعود عبدالرحيم بن أشرس، لم تحدد المصادر تاريخ وفاته، وبعدهما أسد بن الفرات، وهو أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان قاضي القيروان (ت ٢١٣هـ)، تلقى العلم بإفريقية عن علي بن زياد الطرابلسي، ثم ارتحل إلى المشرق في طلب العلم سنة ١٧٢ هـ، فسمع من الإمام مالك وابن القاسم ومن محمد الشيباني الحنفي بالعراق، وغيرهم فبدا المذهب في الانتشار إلى أن جاء سحنون وهو أبو سعيد عبد السلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي (ت ٢٤٠هـ) فغلب المذهب في أيامه، وما المدونة إلا نتيجة تعاون المدرسة المصرية والقيروانية، فقد أملاها ابن القاسم بمبادرة أسد وتدقيق سحنون وتولت المدرسة القيروانية المغربية ضمان الحياة لها بنشرها وتدريسها، وأهم مميزات هذه المدرسة، الحرص على تصحيح الروايات وبيان وجوه الاحتمالات وضبط الحروف على حسب ما يقع في السماع وتتبع الآثار. ورغم تأخر ظهور هذا الفرع إلا أنه سيصبح فيما بعد الممثل للمذهب المالكي في شمال إفريقيا عامة والأندلس خاصة، وقد تعرض هذا الجناح لهزات كبيرة وعديدة، لكنه صمد أمامها، وهي في غالبها هزات سياسية. ومن العلماء المغاربة في اصطلاح المتأخرين محمد بن محمد بن وشاح ابن اللباد (٣٣٣هـ) وابن أبي زيد القيرواني، وهو عبد الله أبو محمد بن عبد الرحمن (ت٣٨٦ هـ)، وأبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري ابن القابسي (٤٠٣هـ)، وأبو القاسم عبد الرحمن بن محرز (٤٥٠هـ) وابن عبد البر، وهو أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري المعروف بابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) والباجي وهو أبو الوليد سليمان بن خلف ابن سعد بن أيوب التجيبي (ت٤٧٤ هـ)، واللخمي وهو علي بن محمد الربعي القيرواني أبو الحسن اللخمي (ت ٤٧٨هـ)، وأبو الوليد بن رشد الجد (٥٢٠هـ) والقاضي سند بن عنان بن إبراهيم أبو علي (٥٤١هـ) وأبو بكر بن العربي (٥٤٣هـ).

٥- مدرسة الأندلس: مؤسسها زياد بن عبد الرحمن الملقب بشبطون (١٩٣هـ) وهو أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس، وكان لتلميذه أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير الليثي (٢٣٤هـ) مستشار الأمير عبد الرحمن بن الحكم الفضل في تثبيت المذهب بالأندلس. ولا فرق بين هذه المدرسة والمدرسة المغربية بل هي امتداد لها، خاصة أن عددًا من علماء الأندلس هاجروا إلى المغرب.

*** مدرسة الحجاز: هي المدرسة الأم، وتمثل الاتجاه الأثري في المذهب ويمثلها تلامذة مالك المدنيين.**

*** مدرسة العراق: تميل إلى التحليل المنطقي للمسائل الفقهية، والاستدلال الأصولي.**

*** تعتبر المدرسة المصرية رائدة منهج اعتماد العمل إلى جانب الحديث، خلافًا للمنهج الحجازي، وهذا المنهج المصري هو الذي ساد المذهب المالكي وتبنته أكثرية مدارس المذهب.**

*** أهم مميزات المدرسة المغربية والمدرسة الأندلسية الحرص على تصحيح الروايات، وبيان وجوه الاحتمالات، وضبط الحروف على حسب ما يقع في السماع وتتبع الآثار.**

بقية: ابتلاءات أهل البيت ومحنهم
بقية: ابتلاء واستشهاد آل البيت في عهد الدولة الأموية

بقية: ٢ـ استشهاد الإمام الحسين رضي الله عنه:

بقية: معركة أرض الطف (كربلاء)[١]:

استشهد الإمام الحسين ولم يمض على انتقال النبي ﷺ خمسون سنة. قطعوا الرؤوس ورفعوها على الحراب أمامهم. وتركوا الجثث ملقاة على الأرض لا يدفنونها، ولا يصلون عليها، كما صلوا على جثث قتلاهم، ومروا بالنساء الشريفات حواسر الرؤوس، فولولن باكيات، وصاحت السيدة زينب رضي الله عنها تستنجد وتستجير بجدها الرسول: "يا محمداه! هذا الحسين بالعراء، وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا".

المستشار
رجب عبد السميع

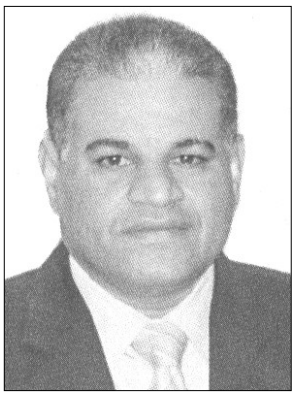

المفكر الصوفي
عادل سعد

وكان ما قالته السيدة زينب أصدق وصف لما بعد كربلاء.

وهكذا - كما يقول العقاد - ليس فى العالم أسرة أنجبت من الشهداء من أنجبتهم أسرة الحسين عدة وقدوة وذكرًا. وحسبه أنه وحده فى تاريخ هذا الدنيا: الشهيد، ابن الشهيد، أبو الشهيد، فى مئات السنين.

وبعد أن جاءوا برءوس آل البيت، وطافوا بها فى مدينة الكوفة نادى واليها ابن زياد إلى الصلاة الجامعة وصعد المنبر، ثم خطب القوم فقال: "الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن على وشيعته".

فما أتم ابن زياد هذه العبارة، حتى وثب له من جانب المسجد، شيخ ضرير، هو عبد الله بن عفيف الأزدى، الذى ذهبت إحدى عينيه يوم الجمل، وذهبت عينه الأخرى يوم صفين. فصاح بالوالى غداة يوم انتصاره وزهوه، يقول له مستهزئًا به: "يا ابن مرجانة! أتقتل أبناء النبيين وتقوم على المنبر مقام الصديقين؟ إنما الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه".

فما طلع الصباح على هذا الشيخ الضرير، حتى وجدوه قتيلًا مصلوبًا، لكن العين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم، فما بالك بأبناء الرسول ﷺ؟ لم يمض على كربلاء أربع سنوات، حتى مات يزيد، وهو يسابق قردًا فوقع من فوق حصانه.

وخرج من أهل الكوفة جماعة باسم (التوابين)، وداعيتهم المختار بن أبى عبيد الثقفى، وأقسموا ألا يتركوا واحدًا من قاتلى الحسين.

أما عبد الله بن زياد فقتل وأحرق، وأما

شمر بن ذى الجوشن ألقيت أشلاؤه للكلاب.

وكان مجرد شبهة الاشتراك فى كربلاء، كافيًا لذبح صاحبه وحرقه وصلبه. وقد بلغ من انتقام جماعة التوابين، حدًّا فاق مذابح كربلاء.

وتلاحقت فيما بعد النكبات على أسرة معاوية وعلى الأمويين بصفة عامة؛ حتى خرج لهم السفاح أبو العباس (مؤسس الدولة العباسية)، ونبش قبورهم، وتعقب رجالهم؛ حتى قضى عليهم جميعًا.

وقد جاء وصف أهوال كربلاء وأحداثها[٢]:

كربلاء لا زلت كربًا وبلا
ما لقى عندك أهل المصطفى
كم على تربك لما صرعوا
من دم سال ومن دمع جرى
يا رسول الله لو أبصرتهم
وهم بين قتيل وسبا
من وميض يمنع الظل ومن
عاطش يسقى أنابيب القنا
جزروا جزر الأضاحى نسله
ثم ساقوا أهله سوق الأما
هاتفات برسول الله فى
شدة الخوف وعثرات الخطى
قتلوه بعد علم منهمو
أنه خامس أصحاب الكسا
ليس هذا لرسول الله يا
أمة الطغيان والبغي جزا

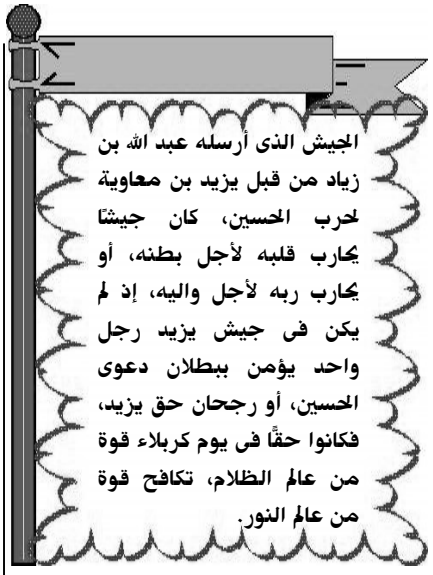

يا جبال المجد عزا وعلا
وبدور الأرض نورًا وسنا
جعل الله الذى نالكمو
سبب الوجد طويلًا والبكا
لا أرى حزنكمو يسلى ولا
رزءكم ينسى وإن طال المدى

ومن أجمل ما ورد فى رثاء الحسين:

أيها القاتلون جهلًا حسينا
أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعوا عليكم
من نبي ومالك وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داو
د وموسى وحامل الإنجيل[٣]

ربما لم يخطر ببال إنسان أن يومًا واحدًا سيدفع الأمويون ثمنه جيلًا كاملًا ودولة ضخمة. ولكن ماذا تقول إذا كانت هذه هى الحقيقة والواقع؟!

وهكذا - كما يقول العقاد - تشاء مصادفات التاريخ إلا أن ترى هذه البقاع حربًا، هى أولى أن تسمى حرب النور والظلام، من حرب الحسين ومقاتليه. كان الحسين فى دفاعه معنى من الإيمان بالواجب كما تخيله ورآه. ولكن الجيش الذى أرسله عبد الله بن زياد من قبل يزيد بن معاوية لحرب الحسين، كان جيشًا يحارب قلبه لأجل بطنه، أو يحارب ربه لأجل واليه، إذ لم يكن فى جيش يزيد رجل واحد يؤمن ببطلان دعوى الحسين، أو رجحان حق يزيد، فكانوا حقًّا فى يوم كربلاء قوة من عالم الظلام، تكافح قوة من عالم النور.

وهكذا كانت كربلاء، كما يقول ماريين المؤرخ الألمانى، نقلًا عن كتاب العقاد: "إن حركة الحسين فى خروجه على يزيد، كانت عزمة قلب كبير، عز عليه الإذعان، وعز عليه النصر العاجل، فخرج بأهله وذويه ذلك الخروج الذى يبلغ به النصر الآجل بعد موته، وتحيا به قضية مخذولة ليس لها بغير ذلك حياة".

---

(١) تفاصيل معركة كربلاء منشورة فى كتب كثيرة، وخاصة كتاب "مقاتل الطالبيين"، بالإضافة إلى كتاب محمد أحمد عاشور بعنوان: "سيد شباب أهل الجنة"، وكتاب توفيق أبو علم: "أبو الشهداء"، أبو عبد الله الحسين بن على". وكتاب عباس العقاد: "أبو الشهداء الحسين بن على" وعشرات وعشرات الكتب التى تناولت من قريب أو بعيد "مأساة كربلاء". بالإضافة إلى مئات من كتب الشيعة التى ألفت على مدى أربعة عشر قرنًا من الزمان.

(٢) للشريف الرضي.

(٣) سيدنا عيسى عليه السلام.

النَّص المُتشظِّي المشروع الصهيوني من ريف دمشق إلى قطاع غزة (٧)

بقية: الصهيونية من التبرؤ إلى الاستيطان إلى ترويج السيرة الذاتية

فكرة تأسيس الدولة:

يؤكد الجغرافي المصري الدكتور جمال حمدان في كتابه (إستراتيجية الاستعمار والتحرير) على أنه " من المستحيل منذ البداية أن يتحقق حلم تكوين دولة لليهود إلا بالمساعدة الكاملة من قوى السيادة العالمية، ومن هنا التقت الإمبريالية العالمية مع الصهيونية لقاء تاريخيًّا على طريق واحد هو طريق المصلحة الاستعمارية ".

ولقد مر تكوين إسرائيل بمرحلتين أساسيتين؛ الأولى هي مرحلة التغلغل ثم الغزو؛ فبعد عدة موجات من التسلسل والتسرب المبعثر حتى ما قبل الحرب العالمية الأولى فتح الانتداب البريطاني الباب للهجرة ليبدأ تاريخ من التغلغل الحقيقي خلق جسمًا خطيرًا من أقلية يهودية كبيرة على حد توصيف جمال حمدان. أما مرحلة الغزو فتم فيها الاغتصاب الشامل بعد انسحاب الانتداب، حينما تم طرد نحو مليون من العرب الأصليين خارج فلسطين، في الوقت الذي تدفقت فيه أمواج وأفواج الهجرة اليهودية إليها، ومنذ ذلك الحين أعلنت إسرائيل نفسها بأنها إسرائيل الصغرى تحديدًا في عام ١٩٤٨م تمهيدًا إلى تحقيق حلم إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

وبمجرد أن انتهى الكيان الصهيوني من توثيق استيطانه الهمجي الذي خالف فيه كل الأعراف الإنسانية بمساعدة أمريكية وتمويلات مشبوهة من قطاعات أوروبية كثيرة بحجة التعاطف التاريخي إزاء ما جرى لليهود من تعذيب واضطهاد وممارسة عنصرية وتحقير في المجتمعات الأوروبية، جاء التفكير إلى كتابة سيرة ذاتية جديدة لكيان صهيوني تتيح لليهود إقامة وطن ولو عن طريق الاغتصاب وتشتيت الأعراق والأنساب الأخرى، ويكفي للقارئ أن يقرأ مقدمة كتاب الباحث المصري محمد السماك المعنون بـ " الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكي " رغم صغره ليكتشف تاريخ التغلغل الصهيوني في فلسطين والذي يمكن توصيفه بملامح كتابة السيرة الذاتية لوطن لا أصل له، لكن حينما نستعرض التواريخ منذ سنة ١٤٩٢م حتى عامنا هذا لأدركنا على الفور أن بني صهيون يسيرون وفق مخطط محكم ومنظم ولا يتغير بتغير الأجواء الزمانية والمكانية والإحداثيات السياسية والاجتماعية الواقعة بالمحيط العربي، أو بتغير الأنظمة الحاكمة سواء داخل إسرائيل أو في الدول والبلدان

المجاورة. ولعل عام ١٨٣٩م هو البداية الحقيقية لتكريس واقع وحقيقة جديدة تسمى إسرائيل وبداية تاريخية تمنحهم الوجود المكاني لإقامة دولة وكيان على أرض فلسطين العربية.

فهؤلاء اليهود الذين اعتقدوا أنهم بحق شعب الله المختار، فكروا لوقت طويل كيف يكون لله شعب ولا يكون للرب وطن؟ ومن هنا جاءت المؤامرة الخبيثة لتكريس وجود صهيوني على أرض فلسطين ولو بصورة ورقية ومؤتمرات تنظيرية وكتب ومطبوعات تمهد لكتابة سيرة ذاتية لوطن لا وجود له في الأصل. ففي عام ١٨٣٩م جاءت مذكرة سكرتير البحرية الإنجليزية إلى وزير الخارجية بالمرستون التي يقترح فيها دعوة أوروبا إلى الاقتداء بقورش لإعادة اليهود إلى فلسطين. وبعدها بعام واحد في سنة ١٨٤٠م كانت الرسالة من بالمرستون إلى سفير إنجلترا بالقسطنطينية من أجل حث السلطان العثماني الضعيف زمنيًّا وعسكريًّا وسياديًّا على تحويل هجرة يهود أوربا الشرقية إلى فلسطين.

وسرعان ما تحولت الرسائل والمذكرات الشخصية وإن كانت بصفة رسمية إلى مؤتمرات وندوات علانية من أجل تعميق فكرة إقامة وطن يهودي

الدكتور بليغ حمدى إسماعيل
أستاذ المناهج وطرق تدريس اللغة العربية المساعد
كلية التربية ـ جامعة المنيا

صهيوني على الأراضي الفلسطينية، وتلازم مع هذه المؤتمرات قرارات برلمانية تؤيد الفكرة، ففي سنة ١٨٤٤م وافق البرلمان البريطاني على تأليف وتشكيل لجنة اسمها " إعادة أمة اليهود إلى فلسطين "، ثم جاء عام ١٨٤٥م ليكون بداية للمشروع الصهيوني في فلسطين بشكل رسمي، فلقد ظهر لأول مرة مشروع إدوارد متفورد وهو " إقامة دولة يهودية متكاملة في فلسطين ".

وبالطبع كان المشروع تحت الحماية الإنجليزية المؤقتة وذلك حتى تتمكن الدولة الناشئة من الوقوف على أقدامها بثبات. وتوالت الكتب والمشروعات الدنيئة التي تسعى وتحث قادة العالم بضرورة إعادة الأمة اليهودية إلى إسرائيل مثل كتاب إرنست لاراهان المستشار الخاص لنابليون الثالث بعنوان " المسألة الشرقية: إعادة بناء الأمة اليهودية ".

ثم كتاب " أرض جلعاد " لعضو البرلمان الإنجليزي لورنس أوليفنت الذي صار بعد ذلك وزيرًا للخارجية، وفي هذا الكتاب اقترح إقامة مستوطنة يهودية على مساحة مليون ونصف المليون فدان إلى الشرق من نهر الأردن، وتحديدًا ليهاجر إليها يهود روسيا ورومانيا.

وبالقطع أمر خطير أن نشير على عجل إلى تفكير الكيان الصهيوني بتوثيق وكتابة أي حدث سياسي أو اجتماعي أو ثقافي تتم فيه إشارة بسيطة إلى كلمة يهود أو يهودية أو إسرائيل، وكذلك توثيق أية كلمات تتعلق بوطن أو دولة أو هجرة أو مستوطنة تحديدًا في الفترة التي سبقت الإعلان عن الوجود الرسمي لإسرائيل في المحافل الدولية أي قبيل عام ١٩٤٨م، وهذه الفترة التي سبقت الإعلان تفرغت الكيانات الصهيونية العالمية إلى تسجيل كل إشارة أو لمحة دالة عن إسرائيل أو وطن لليهود؛ حتى وإن كانت مجرد خبر صحافي قصير في جريدة غير مقروءة أو مطبوعة محلية.

يا أبنائي: أوصيكم بتعلم العلم تكن لكم الحياة والآخرة، فإن كان آباؤكم من أئمة الهدى حفظتم ذكرهم، وأبقيتم صورهم مرسومة على صفحات القلوب، وحفظتم تراث آبائكم ومجدهم صرتم كالجوهرة النفيسة!!

وصيـــة إلـــى الرجـــل المسلم (٣)

د. جمال أمين

بقية: وصيتي إلى أبنائي وأهلي وعشيرتي

يا أبنائي:

احفظوا الله يحفظكم، احفظوا الله تجدوه أمامكم، كونوا مع الله تروا الله معكم.

يا أبنائي:

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور: ٢١) فابغضوا المعاصي يا أبنائي؛ لأن الله حرمها وتوعد عليها بالنار، ولأن المعاصي في ذاتها تنفر منها النفوس الكريمة، ولأنها تهدم مجدًا أسسه أئمة الهدى من آبائنا العلماء العاملين، ولأن المعصية تذهب وجاهة الإنسان ومنزلته العالية بين الناس وتجعله محتقرًا ذليلًا؛ لأن المعصية تسبب العداوة بين الناس والخصومات، وتسبب الأمراض في الأبدان، وأن المعصية توجب الخزي والندم في الدنيا والعقوبة يوم القيامة، فاتركوا يا أولادي المعصية، فإنها لذة تؤدي إلى كل تلك البلايا، والأولى الفرار منها ولو كان في تركها آلام عاجلة.

يا أبنائي:

* صلة الأرحام تطيل الأعمار، وترضي الرحمن، وتكثر الأنصار، وتجعل الرجل سيدًا عظيمًا في عشيرته، وهي من صفات رسول الله ﷺ.

وصلة الرحم صلة للرحيم، هذا فضلًا عما يشعر به المرء المسلم من الشفقة والرحمة والعاطفة على أقاربه، فلو لم تكن صلة الرحم شرعًا وعقلًا لكانت فطرة وسجية، وقاطع الرحم كأنه يقول: أنا لست إنسانًا ولكني وحش؛ لأن الإنسان - ولو كان ابن زنا - يعطف على أبناء أمه وأقاربه ويتعصب لها.

يا أبنائي:

* أكرموا جيرانكم يدم لكم الصفاء والهناء وتزيد نعمكم، لأن إكرام الجار يرضى الله تعالى ويرضى رسول الله ﷺ، ويجعل جارك خادمًا يطيعك ويلبيك إن ناديته، ويسرك إن قابلته، فإن أنت لم تكرمه

كان كالهم اللازم، والغريم المطالب، ولا غنى لك عنه، والعاقل لا يجعل له سبعًا وحشًا مفترسًا، مطلقًا من القيود قريبًا من بابه، وإن عجزت عن إكرامه وتأليفه، فتب إلى الله واسأله المعونة، وافرض أن جارك بعيد عنك فلا تذكره إلا بخير، وانس إساءته يهده الله أو يريحك منه

يا أبنائي:

احترسوا من الناس بسوء الظن، ولا تظهروا سوء الظن لعباد الله، ولكن عليكم بمداراتهم، وحسنوا نواياكم في قلوبكم، وصونوا أعراضكم في بيوتكم، وأموالكم في خزائنكم، حتى إذا ظفرتم بواحد من أهل الأسرار، فجربوه أو اختبروه، ثم كاشفوه بقدر معلوم، وأنتم على حيطة منه، فإذا وجدتم رجلًا أمينًا يمكنه أن يحفظ مالكم ويعمل فيه، لينتفع وتنتفعوا، فاعطوه بقدر معلوم مع الحيطة منه.

يا أبنائي:

* أوصيكم بالأعراض، فإن الله تعالى حكم فيها فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (النور، ٣٠)، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ (النور: ٣١) صدق الله العظيم.

والعمل بكتاب الله به الفوز برضوان الله، وبه السعادة في الدنيا والآخرة، والجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديقًا لغيره؟!

يا أبنائي:

أوصيكم بتعلم العلم تكن لكم الحياة والآخرة، فإن كان آباؤكم من أئمة الهدى حفظتم ذكرهم، وأبقيتم صورهم مرسومة على صفحات القلوب - وإن كانت أعيانهم في القبور - وحفظتم تراث آبائكم ومجدهم صرتم كالجوهرة النفيسة المستخرجة من كنوز أنفس الجواهر، يعظمكم الناس لنسبكم، ويحبونكم لعلمكم.

العلم يا أبنائي حقيقة صعبة المرتقى، ولكنه كرسي من جلس عليه ساد في الدنيا، وكان في مقعد صدق عند مليك مقتدر يوم القيامة.

أوصيكم يا أبنائي بأن يحب كل واحد منكم لأخيه ما يحبه لنفسه، وخيركم من بدأ بأخيه فيما يحبه ثم بنفسه، قال تعالى مثنيًا على أصحاب رسول الله ﷺ - وليست بينهم أرحام يتواصلون بها وإنما هي إخوة الإسلام -: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩) فيجب عليكم يا أبنائي أن تتشبهوا بالكرام قيامًا بأخوة الإسلام، وأخوة الأرحام.

يا أبنائي:

* أعطوا حب قلوبكم للأخ التقي الأمين الموالي، واجعلوا مزيده بالدعاء الصالح والبشاشة في وجهه، والمسارعة إلى خيره، وأعطوا طلاقة الوجه وحلاوة اللفظ لمن تخشون شره أو تخافون جهالته ليكفيكم الله شروره، وسعوا الناس كلهم بأخلاقكم؛ حتى يكونوا لكم ألسنة خير.

يا أبنائي: أعطوا حب قلوبكم للأخ التقي الأمين الموالي، واجعلوا مزيده بالدعاء الصالح والبشاشة في وجهه، والمسارعة إلى خيره، وأعطوا طلاقة الوجه وحلاوة اللفظ لمن تخشون شره أو تخافون جهالته ليكفيكم الله شروره، وسعوا الناس كلهم بأخلاقكم؛ حتى يكونوا لكم ألسنة خير.

حديث نبوي

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّكُم سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ).

- رواه البخاري ومسلم -

جرائم حرب ضد الإنسانية:

الدعم السريع يقتل ويسرق ويغتصب أهالي الفاشر بالسودان!!

شهدت مدينة الفاشر، عاصمة ولاية شمال دارفور، وآخر المعاقل الرئيسة التي كانت تحت سيطرة الجيش السوداني في إقليم دارفور، موجة واسعة ومروعة من الانتهاكات وجرائم الحرب عقب سيطرة قوات الدعم السريع عليها في أواخر أكتوبر ٢٠٢٥م بعد حصار دام لأكثر من ١٨ شهرًا، وقد أثار هذا السقوط قلقًا دوليًّا وإقليميًّا واسعًا بشأن مصير عشرات الآلاف من المدنيين، بمن فيهم النازحون في المخيمات المحيطة بالمدينة.

التقارير الصادرة عن منظمات حقوقية دولية، والأمم المتحدة، وشهادات الناجين، تشير إلى أن ما حدث يرقى إلى مستوى الفظائع الجماعية والجرائم ضد الإنسانية.

أكثر ما يميز الانتهاكات المبلغ عنها هو طبيعتها الانتقامية والعرقية، فقد وجه تقرير صادر عن كلية الصحة العامة بجامعة ييل، اتهامات لقوات الدعم السريع بارتكاب عمليات قتل جماعي موثقة بالأقمار الاصطناعية للمدنيين في الفترة ما بين ٢٦ و ٢٨ أكتوبر ٢٠٢٥م.

كما وردت تقارير وشواهد مصورة تُفيد بوقوع إعدامات ميدانية بحق المدنيين العزل الذين حاولوا الفرار من المدينة أو الذين تم اعتقالهم، وحذرت منظمات حقوق الإنسان من أن السيطرة على الفاشر ستؤدي إلى هجمات انتقامية عرقية على غرار ما حدث في مناطق أخرى بدارفور، حيث ترتبط قوات الدعم السريع بتاريخ من العنف الممنهج ضد مجموعات عرقية محددة، ما وصفته جهات عدة بـ "التطهير العرقي" أو "مجازر أقرب إلى الإبادة الجماعية".

وقد أشارت تقارير محلية إلى أن عدد القتلى المدنيين قد تجاوز المئات في الأيام التي تلت السيطرة على المدينة.

لم تقتصر الجرائم على القتل، بل امتدت لتشمل سلسلة من الانتهاكات الخطيرة ضد السكان والممتلكات المدنية، وهي تشكل خرقًا صارخًا للقانون الدولي الإنساني، فقد حذرت المديرة التنفيذية لليونيسف من أن ما يقدر بنحو ١٣٠ ألف طفل في الفاشر معرضون لخطر الانتهاكات الحقوقية الجسيمة، بما في ذلك الاختطاف والقتل والتشويه والعنف الجنسي، مشيرة إلى أنه "لا يوجد طفل في مأمن"، كما أشارت تقارير أممية إلى حالات اغتصاب لنساء وفتيات في ظل إفلات تام من العقاب.

كما وثقت تقارير عمليات خطف للكوادر الطبية للمطالبة بفدية، مما يهدد بانهيار ما تبقى من النظام الصحي، كما أفادت تقارير سابقة بحرق وتدمير المنشآت الطبية.

وأشارت الأمم المتحدة إلى أن قوات الدعم السريع مارست احتجاز المدنيين بلا غذاء خلال الحصار الطويل، مما يرقى إلى استخدام التجويع كسلاح حرب، وقد تحدثت الشهادات المروعة للنازحين عن مجاعة خانقة دفعت السكان لأكل طعام الحيوانات أو علف الماشية.

وأجبر تصاعد العنف في المدينة نحو ٢٦ ألف شخص على الفرار في الأيام التي تلت السيطرة، وهم في حالة من الرعب والصدمة، متجهين إلى مناطق أكثر أمنًا مثل "طويلة"، في حين بقي آلاف المدنيين عالقين داخل المدينة "دون خيارات تذكر".

وأثارت الفظائع في الفاشر إدانات واسعة على المستوى الدولي والعربي، فقد أدان أعضاء مجلس الأمن الدولي هجوم قوات الدعم السريع على الفاشر وطالبوا بـ محاسبة المسؤولين.

كما طالبت منظمات مثل "هيومن رايتس ووتش" المجتمع الدولي بالتحرك العاجل والضغط على داعمي قوات الدعم السريع، خاصة الإمارات، لوقف الفظائع.

وأدانت الحكومة السودانية الجرائم التي ارتكبتها قوات الدعم السريع ووصفتها بـ "الجرائم الإرهابية المروعة" وتعهدت بـ "الاقتصاص" للمدنيين، وأعلنت قوات الدعم السريع عن توقيف عدد من مقاتليها للاشتباه بارتكابهم انتهاكات، وتعهد قادتها بـ محاسبة المتورطين، وهو ما قوبل بالتشكيك من قبل المراقبين الدوليين في ظل استمرار الأنباء المروعة.

غزة تعود لعصر المقايضة بعد اختفاء السيولة من البنوك

خفّف إعلان وقف إطلاق النار في غزة من صدمات القصف الجوي الإسرائيلي والحصار، لكن نقص السيولة النقدية جعل الفلسطينيين غير قادرين على إنفاق ما لديهم من مال قليل دون الوقوع ضحية للمنتفعين من الأوضاع المأساوية.

وأعادت البنوك فتح أبوابها في ١٦ أكتوبر، أي بعد ٦ أيام من إعلان وقف إطلاق النار، بعد أن ألحقت الحرب على مدى عامين أضرارًا بالعديد منها أو دمّرتها كما فعلت بالمنازل والمدارس والمؤسسات الأخرى في أنحاء القطاع، وسرعان ما اصطفت الطوابير أمام البنوك، لكن الناس غادروا بخيبة أمل.

ويحتاج السكان إلى النقود لإجراء معظم المعاملات اليومية في غزة، سواء لشراء الطعام من الأسواق أو دفع فواتير الخدمات، لكن إسرائيل منعت تحويلات الأوراق النقدية إلى جانب دخول معظم السلع الأخرى منذ أكتوبر ٢٠٢٣م.

وبالنسبة لبعض الفلسطينيين، أتاحت أزمة السيولة النقدية فرصة لكسب قوت يومهم، حيث يلجأ البعض إلى التحويلات الإلكترونية عبر تطبيقات البنوك حتى عند شراء سلع بسيطة مثل البيض أو السكر، لكن البائعين يفرضون رسومًا إضافية.

ولم تشمل خطة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب لإنهاء الحرب المكوّنة من ٢٠ نقطة مسألة إدخال السيولة النقدية إلى غزة، وتركت أيضًا تفاصيل إعادة الإعمار والأمن لتحديدها لاحقًا.

ولم تستجب وحدة تنسيق أعمال الحكومة في المناطق، وهي ذراع الجيش الإسرائيلي المشرفة على تدفق المساعدات إلى قطاع غزة، حتى الآن لطلب التعليق على ما إذا كان سيتم السماح بتحويل الأوراق النقدية إلى القطاع ومتى.

وأدى نقص الأوراق النقدية والعملات إلى تفاقم أزمة سكان غزة الذين فقدوا أقاربهم ووظائفهم ومنازلهم، واستنفدوا مدخراتهم وباعوا ممتلكاتهم لشراء الطعام والخيام والأدوية. ولجأ بعضهم إلى المقايضة لتسيير أمورهم.

لبنان يعرض التفاوض لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي

قال الرئيس اللبناني جوزيف عون إن بلاده مستعد لدخول مفاوضات تهدف إلى إنهاء الاحتلال الإسرائيلي، مشددًا على أن أي حوار لا يمكن أن يكون من طرف واحد، بل يحتاج إلى إرادة متبادلة، وهو ما لم يتحقق بعد.

وأضاف عون خلال استقبال وزير الخارجية الألماني يوهان فاديفول، أن "شكل التفاوض وموعده ومكانه سيتم تحديده لاحقًا".

وتابع الرئيس اللبناني أن "خيار التفاوض يأتي بهدف استعادة الأراضي المحتلة وإعادة الأسرى وتحقيق الانسحاب من التلال، إلا أن الطرف الآخر لم يبد تجاوبًا، بل استمر في الاعتداءات على لبنان، في جنوب البلاد والبقاع، مع ارتفاع منسوب التصعيد".

وفي هذا السياق، طلب عون من المجتمع الدولي بما في ذلك الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة "الضغط على إسرائيل للالتزام باتفاق وقف الأعمال العدائية المعلن في نوفمبر الماضي، وتمكين الجيش اللبناني من الانتشار حتى الحدود الجنوبية الدولية، واستكمال تنفيذ الخطط لضمان سيادة لبنان على كامل أراضيه".

وشدد الرئيس على أن "عدم تجاوب إسرائيل مع الدعوات المتكررة لوقف الاعتداءات يعكس أن الخيار العدواني ما زال خيارها الأول، وهو ما يضع مسؤولية على المجتمع الدولي لدعم موقف لبنان الرامي إلى تحقيق الأمن والاستقرار".

من جانب آخر، قال عون: إن الجيش اللبناني يقوم بواجبه كاملًا في جنوب نهر الليطاني، إلى جانب مهامه الوطنية الأخرى، مرحبًا بأي دعم يقدم له لتوفير الإمكانات اللازمة للقيام بدوره في حفظ السيادة وسلامة الوطن، وأوضح أن عدد عناصر الجيش في الجنوب سترتفع قبل نهاية العام إلى ١٠ آلاف جندي، مع استمرار التعاون مع القوات الدولية العاملة في المنطقة.

جريمة حرب أمريكية في اليمن!!

دعت منظمة العفو الدولية السلطات الأميركية إلى إجراء تحقيق عاجل وشفاف في أن الضربة الجوية التي استهدفت مركز احتجاز للمهاجرين في محافظة صعدة شمال غربي اليمن بوصفها "جريمة حرب".

وخلصت المنظمة -في تحقيق جديد أنجزته- إلى أن الضربة الجوية الأميركية التي استهدفت مركز احتجاز للمهاجرين في محافظة صعدة شمال غربي اليمن في ٢٨ أبريل ٢٠٢٥م، أدت إلى مقتل وإصابة عشرات المهاجرين الأفارقة، تُعد هجومًا عشوائيًا.

ونفّذ الجيش الأميركي الهجوم ضمن ما يُعرف بـ"عملية الراكب الخشن" وتسبب في أضرار كارثية للمدنيين، إذ استهدف مهاجرين "احتجزتهم سلطات الأمر الواقع التابعة للحوثيين في المركز لمجرد أن وضعهم القانوني غير منتظم".

واستند تقرير منظمة العفو الدولية إلى مقابلات مع ١٥ ناجيًا، جميعهم مهاجرون إثيوبيون كانوا محتجزين في صعدة، وتحليل أدلة رقمية تشمل صور الأقمار الصناعية والصور الفوتوغرافية ومقاطع الفيديو.

ويقدّم التقرير أدلة دامغة على أن الولايات المتحدة أخفقت في "الالتزام بواجبها بموجب القانون الدولي الإنساني في التمييز بين الأهداف المدنية والعسكرية".

وأسفرت الضربة الأميركية عن مقتل وإصابة العشرات من المهاجرين المحتجزين في المركز وقت الهجوم، وتمكن الناجون الذين تحدثوا إلى منظمة العفو من تحديد أسماء وأعمار تقريبية لـ١٦ من القتلى، جميعهم مهاجرون إثيوبيون من الرجال، ومعظمهم في العشرينيات من عمرهم.

وقالت كريستين بيكرلي نائبة مديرة المكتب الإقليمي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا في منظمة العفو الدولية: "إن الشهادات المروّعة للناجين ترسم صورة واضحة لمبنى مدني مكتظ بالمحتجزين، جرى قصفه دون تمييز".

وأضافت "هذا فشل قاتل من جانب الولايات المتحدة في الوفاء بأحد التزاماتها الأساسية بموجب القانون الدولي الإنساني؛ بذل كل ما هو ممكن للتحقق مما إذا كان الهدف المقصود هدفًا عسكريًّا".

كما شددت بيكرلي على وجوب حصول الضحايا وعائلاتهم على تعويضات كاملة، بما في ذلك التعويض المالي.

وزادت موضحة أنه بما أن الضربة الجوية قتلت وأصابت مدنيين، يجب على السلطات الأميركية "التحقيق في هذا الهجوم باعتباره جريمة حرب، ومقاضاة أي شخص يثبت تورطه، بمن فيهم المسؤولون بموجب مبدأ المسؤولية القيادية".

وقدمت منظمة العفو الدولية في ٢٧ أغسطس ٢٠٢٥م طلبًا رسميًّا للحصول على معلومات من القيادة المركزية الأميركية وقيادة العمليات الخاصة المشتركة، شارحة نتائجها وساعية لتوضيح الهدف العسكري الذي تم استهدافه والإجراءات الوقائية المتخذة، إذ ردت القيادة المركزية بإيجاز في اليوم نفسه، قائلة: إنها "تُقيّم جميع التقارير المتعلقة بالأضرار المدنية بجدية وتراجعها بدقة".

كما طلبت المنظمة معلومات من سلطات الحوثيين في ١١ سبتمبر ٢٠٢٥م، بشأن استخدام مجمع سجن صعدة ومركز احتجاز المهاجرين وعدد المحتجزين وقت الهجوم وظروف احتجازهم، وما إذا كانت هناك تحقيقات في فشل الحراس في السماح للمحتجزين بالاحتماء في مكان آمن.

وردّت وزارة العدل وحقوق الإنسان التابعة للحوثيين في ٢٤ سبتمبر والسادس من أكتوبر ٢٠٢٥م، مقدّمة تفاصيل عن أعداد المهاجرين المحتجزين، ومنكرة أي انتهاكات تتعلق بظروف الاحتجاز، كما أرفقت قائمة بالضحايا الذين سقطوا في الضربة الأميركية.

وخلص تحقيق منظمة العفو الدولية إلى عدم وجود أي دليل يشير إلى أن مركز احتجاز المهاجرين كان هدفًا عسكريًّا، وأكد الناجون أن المركز كان مساحة مفتوحة يمكنهم رؤية جميع من فيها، وهم جميعًا من المهاجرين المحتجزين.

وقد استُخدم المبنى، وهو جزء من مجمع سجن صعدة، منذ سنوات لاحتجاز المهاجرين، وكانت طبيعته المدنية معروفة على نطاق واسع، كما زارته منظمات إنسانية.

سفك الدماء يزيل السلطان

قال أمير المؤمنين الإمام المجدد الأول السيد علىّ بن أبى طالب عليه السلام في عهده لمالك الأشتر رضي الله عنه حين ولّاه مصر: (إياك والدماء وسفكها بغير حلّها، فإنه ليس شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها، والله سبحانه مبتدىء بالحكم بين العباد، فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوينَّ سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يُضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله).

المسلمون لا يغدرون

قال الإمام المجدد الثاني السيد جعفر الصادق عليه السلام: (لو أن قومًا حاصروا مدينة فسألوهم الأمان؟ فقالوا: لا، فظنوا أنهم قالوا: نعم، فنزلوا إليهم، كانوا آمنين)، وقال: (لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا أو يأمروا بالغدر، ولا يقاتلوا مع الذين غدروا).

المصيبة للصابر والجازع

قال الإمام المجدد الثالث السيد علي الهادي عليه السلام: (المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان).

الكل في التراب

قال الإمام المجدد الخامس السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه: (إنْ غَرَّكُمْ لِبَاسُ الحُكَّامِ والأَعْيَانِ وزِينَتُهُم وضَاقَتْ صُدُورُكُم بِهذا فَاذْهَبُوا إلى المَقابِرِ وانْظُرُوا ءَابَاءَكُم وءابَاءَهُم تَجِدُوا الكُلَّ في التُّرابِ، واللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ هُو فِي النَّعِيمِ ومَنْ هُو فِي العَذَابِ).

عاقبة سل السيوف على المسلمين

قال الإمام المجدد السادس السيد إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه: (كيف تطلبون أن الله تعالى ينبت لكم الزرع أو يدر لكم الضرع، وأنتم تسلون السيوف على أحد من هذه الأمة المحمدية، وتلطخون الحراب من دمائهم؟).

من النفاق عدم التألم لمصاب المسلمين

قال خاتم الورَّاث المحمديين الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضوان الله عليه: (ومن علامة النفاق أو ضعف الإيمان ونسيان يوم الحساب؛ أن ترى المغرور يوهم جماعة من المسلمين فى أرض المسلمين أن يقطعوا العلاقة بينهم وبين إخوانهم المسلمين، ولا يتألموا لمصائبهم وآلامهم، ويتركوهم لأعدائهم - فهو أشر على المسلمين من عدوهم، أضر عليهم من الشيطان الرجيم، وعلى جماعة المسلمين أن يعاقبوا هذا بأشد العقوبة التى تكون انتقامًا منه، وأدبًا لغيره).

حكم الدين

من فتاوى
الإمام المجدد
السيد محمد ماضي أبوالعزائم

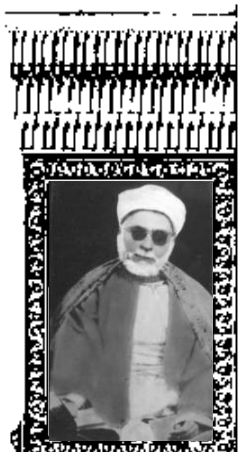

حكم المؤمنين والذين هادوا والنصارى والصابئين

⓪ سماحة مولانا الإمام المجدد حجة الإسلام والمسلمين في هذا الزمان السيد محمد ماضي أبو العزائم - قدَّس الله سرَّكم، ونفعنا الله بكم، وجعلكم وليًّا مرشدًا لطلاب العلم النافع- نرجو من سماحتكم بيان المعاني والأسرار في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

فأجاب سماحته قائلًا:

يَا بُنَيَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ..﴾ إلخ الآية. بعد أن ذكر سبحانه وتعالى أخبار أعداء أنفسهم، وما أعده لهم من سوء العاقبة، تنزل جل جلاله بما هو أهل له من الحنان والعطف والرحمة والإحسان ففتح أبواب الخير لعباده، ليجعلهم على الحق بفضل منه، فقال مؤكدًا الخبر بإن ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مبتدئًا بأهل الإيمان ليشرح صدور من سبقت لهم منه الحسنى بخبره هذا عن تلك الأنواع كلها. ومعنى ﴿آمَنُوا﴾ هنا: أي صدقوا الله ورسوله مع الدوام والاستمرار على التمسك بعقيدة الإسلام والعمل بشرائعه. وإن فسر بعضهم قوله تعالى: ﴿آمَنُوا﴾ أي بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل بعثة رسول الله ﷺ، ولكن سياق القرآن يقضي بكشف الستار عن عميم الرحمة والترغيب في الإسلام، أما من آمنوا بالسابقين من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إيمانًا لم يَشُبه زيغ ولا ضلال مما وقع فيه اليهود والنصارى، فذلك معلوم من الدين بالضرورة أن لهم الأجر والثواب، أما أهل الفترة من أهل الجاهلية وغيرهم، فإنهم ناجون إلى بعثة رسول الله ﷺ، أما بعد بعثته عليه الصلاة والسلام وعلمهم به، فإنهم يكونون كفارًا مخلدين في النار إن لم يسلموا.

﴿وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ أما الذين هادوا، فإن كانت الكلمة عربية، فهاد يهود: يعني تاب يتوب، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾، وإن كانت غير عربية، فمعناها تهودوا، يعنى دخلوا في اليهودية، والحكم إنما هو لمن أدركوا عصر رسول الله ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، والنصارى جمع نصراني، والأنثى منه نصرانية، أو نسبة إلى المدينة (نَاصِرَة) التي نزل بها المسيح، فكانوا يسمونه ناصريًّا، وهم الذين ظنوا أنهم آمنوا بالمسيح، ولكنهم اختلفوا فيه: فمنهم من قال: هو ابن الله، ومنهم من قال: هو الله، ومنهم من قال: حل فيه الله، ومنهم من رأى قداسة مريم وهم أهل التثليث.

﴿وَالصَّابِئِينَ﴾: الصابئ لغة: هو الذى يميل عن دينه، سواء أكان من باطل إلى باطل، أو من حق إلى باطل، أو يبتدع في الدين بدعة تخالف الإجماع، وهم أهل الآراء الفاسدة والمذاهب الباطلة في كل ملة، جمعهم الله مع ما هم عليه من الكفر بالله ليقيم الحجة سبحانه عليهم أن من آمن منهم بالله، أي صدق رسله عليهم السلام فيما جاءوا به من عند الله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي أنه حفظ أنفاسه وجوارحه من مخالفة السنة،

وقام بما أوجبته الشريعة عليه من أركان الإسلام وسننه التي جمعها رسول الله ﷺ بقوله: [الإيمان بضع وسبعون شعبة] فإيمان المؤمنين ثباتهم على التصديق بما جاء به رسول الله ﷺ، وقيامهم بالعمل بما أمر به مع الاستطاعة، وتركهم ما نهى عنه عليه الصلاة والسلام مطلقًا. فإن المسلم يجب عليه أن يفعل ما أمر به مع الاستطاعة، ويجب عليه أن يترك ما نهى عنه مطلقًا، إذ لا عذر لمسلم يدعوه إلى الوقوع في معصية الله تعالى؛ لأن الله تعالى ما نهانا عن شيء فيه نفع لنا أبدًا بل نهانا عن كل ضار بالدين والجسم والأهل والمجتمع الإسلامي. وقد أغنانا الله بما وسع لنا فيه من ضرورياتنا وكمالياتنا.

والشريعة هي الطريق الواسع الذي لا يضيق على سالك فيه. وإيمان غير المؤمنين هو اعتناق الإسلام بقلب وقالب ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ الجملة بعد الفاء جواب الشرط، والشرط وفعله وجوابه خبر؛ لأن السابقة والأجر معلوم أنه الجزاء الحسن على العمل الحسن، كما أن العقوبة هي الجزاء العدل على العمل السيء. وفي العقوبة غاية العدل من الله تعالى. وفي الأجر نهاية الرحمة والفضل.

وهنا إشارة عجيبة: لأن الأجر لا يكون إلا لعامل بحوله وقوته، مكافأة له على ما ضحى به من العمل. والحق جل جلاله هو الفاعل المختار المنزه عن الشريك والمعين. ومن فهم قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ يذق حلاوة ما أقول: إن الله تعالى تفضل علينا بالإيجاد، وأحسن إلينا بالإمداد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، وتنزه جل جلاله عن أن ينتفع بمخلوق خلقه، أو يحتاج إلى عمل عامل من خلقه، فكيف يقول: ﴿أَنَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ إلا أني على قدر فهمي في هذه الآية الشريفة أقول: إن الله تفضل بالإيجاد والإمداد فوفقنا لمحابه ومراضيه، وهدانا صراطه المستقيم، وأكرمنا بأن جعلنا خير أمة أخرجت للناس، ثم تفضل فضلًا أعظم فأكرمنا بنسبة عمل الطاعات لنا، وبأن تلك الطاعات له منا بنا. ثم جعل سبحانه ما أعده لنا من الملك الكبير جزاء أعمالنا التي وفقنا لها ليكون إكرامه أجمل وإحسانه أشمل، ولنتذوق حلاوة وسعة رحمته وجمال إحسانه وخير حنانه، فنتخلق بخلق من أخلاقه في معاملة إخوتنا المسلمين الذين جذبتهم العناية إلى القيام لرب العالمين. وهذا مشهد من مشاهد التوحيد العلية. كشف الله لنا تلك المقامات كلها، وحفظنا من العمى في تلك الدار الدنيا، حتى نشهد كل المشاهد ونحفظ من قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾.

وهنا جذبت جواذب الألطاف الإلهية، من قدر الله لهم في الأزل أن يلحقوا السابقين الأولين بفضل الله وبرحمته. قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾. عطف سبحانه وتعالى الإيمان باليوم الآخر على الإيمان بالله جل جلاله، وفي ذلك من عجائب الحكمة الإلهية ما لو انكشف لذوي الألباب لكان المجتمع الإنساني العام كالجسد الواحد كل فرد منه ككل عضو في الجسد يعمل لخيره؛ لأن الإيمان باليوم الآخر مع المراقبة يشهد الإنسان شهودًا تصويريًّا بهجة النعيم المقيم في سبيل عمل قليل يستطاع، فينجذب الإنسان بعوامل الرغبة الشديدة والشوق المزعج إلى الفوز بهذا الملك الكبير، وفي دار البقاء جوار الأنبياء والصديقين والشهداء، ويجعله يحارب هواه وحظه وشهوته، محاربة من يشعر بآلام النار عند هجوم سلطان الحظ والهوى والشهوة. ومتى راقب المسلم تلك الحقائق التي توعد بها القرآن أهل الكفر بالله، رسم على جوهر نفسه رسوم تلك الحقائق من الآلام والعذاب والبلاء الشديد الذي يقع فيه المخالف للشريعة، في صغير الأمر وكبيره، فيفر من الوقوع في المعاصي كما يفر من الوقوع في هوة نار ملتهبة، وما ارتكب العصاة الكبائر ووقعوا في الكبائر والآثام إلا لنسيانهم ذلك اليوم. قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾، وقال تعالى: ﴿بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾. ولما كانت تلك الملاحظات تكبح جماح النفوس عن غيها وتقيم الحجة على إيمان المرء بالغيب الذي سمع به من الصادق ولم يره صار برعايتها ناهجًا الصراط المستقيم مصححًا حاله عملًا، ولذلك فإن الله تعالى عطف الإيمان باليوم الآخر على الإيمان بذاته العلية، رحمة منه بخلقه وإحسانًا إليهم.

والإشارة بقوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ تدل أهل المعرفة بالله أن هذا الأجر فوق الجنة مكانة؛ لأن الأجر عند ربنا جل جلاله واسع جدًّا: فقد تكون الجنة، وقد يكون مقعد صدق، وقد يكون الرضوان الأكبر، وقد تكون مواجهة وجه الله تعالى، والأنس على بساط مؤانسته. وقد وقد وقد... كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، وبرهان صحة الرعاية والتمثيل قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

معلوم أن الإنسان بما ركب فيه من عناصر تقتضي تغيراته، حتى إذا تم اعتبار المثنوية تحقق بأنه لا يصفو نفسًا من الأنفاس إلا وهو تحت تأثير تلك التغيرات: فتراه موفقًا للخير مقبلًا على الله بكليته، وأخرى ملتفتًا عن الحق سلس القياد للشهوة حريصًا على الدنيا والسعي لها، ومرة تراه زاهدًا ورعًا خاشع القلب خانع الجوارح لله تعالى، وأخرى تراه في حيرة ودهشة مما يرد عليه من غرائب الآيات وأسرارها، وآنًا يكون كافرًا جاحدًا منكرًا. وكل تلك التأثيرات والانفعالات النفسية خصوصًا إذا كبرت سنة وضعفت قوته وتحقق الورود على البرزخ، ويخاف الرجل من سوء ذنوبه ومن الحساب يوم لقاء ربه، ويحزن على أولاده وأهله بعد مفارقته إياهم، فلمزيد الفضل من الله تعالى طمأن قلوب من آمنوا به وبآياته، وعملوا الأعمال الصالحة التي بينتها لك في أول الآية في قوله تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، أي أنه تعالى بدل سيئاتهم حسنات، فأمنوا على أنفسهم من الحساب يوم لقائه، وأظهر لهم سبحانه إمَّا بإلهام أو وارد أو بشرى من ولي عارف، بأن الله يكون وليًّا ووكيلًا على أولاده. تلك الآية بعد خبر الله تعالى بقوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ تدل على أن هذه البشرى من الله تعالى لمن أقامهم الله مقام المخاطبين بكلامه؛ لأن الله لو منحهم هذا الأجر الذي هو عنده لما خطر على قلوبهم دواعي خوف أو مقتضيات حزن.

وقد يكون خوف كمل أولياء الله تعالى أشد من خوف العصاة؛ لأن أولياء الله تعالى يخافون أن يوقفهم موقف عدل، أو يحجبهم عن شهود جماله العلى، أو يبعدهم عن الأنس على بساط مؤانسته قدام وجهه. أما العصاة فخوفهم من النار التي تفرق الأجسام. أما النار التي توقد في القلوب فمنها خوف العارفين والمقربين وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي لا يحصل لهم حزن، والحزن قبض القلب من توقع ضرر أو غلبة عدو أو دين، أو من خوف ضياع خير أو مفارقته، والإنسان بعد أن ألف الحياة الدنيا، واعتقد أنه سبب لنفع أهل أو أولاد أو أقارب، إذا ظن أو تحقق مفارقته لهم يحزن فيكون مع كرب الموت كرب تلك الحالة، فيخفف الله عنه شدة الحزن بالبشائر عند الموت بأن الله تعالى يكون وليه ووصيه على من يفارقهم، وفي حالة الصحة يرد على قلبه الثقة بالله تعالى وانتظار النعيم المقيم يوم القيامة فيزول حزنه. وقد وعد الله تعالى أهل الإيمان به بخفي ألطافه في كل دور من أدوار حياتهم مهما اعتورتهم الأهوال والشدائد؛ حتى لا يخلو فيها إنسان مهما كانت حالته من القوة والشدة والغنى، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ فسبحان من له الخلق والأمر، وهو بكل شيء عليم.

براعم الإيمان من فيض الحنان (٤٣)

أسئلة والإجابة عليها
مهمة لبراعم الإيمان

المحاسب مصطفى فهيم
مدير إدارة الإعفاءات الشخصية
بالجمارك المصرية سابقًا

بقية: أولاً: التربية الإيمانية:

بقية: كيف نزرع محبة سيد الخلق ﷺ في أبنائنا؟.

بقية: ثانيًا: المحور العلمي

٩- علموا أولادكم أن أحواله ﷺ جمالٌ للقلوب، وأعماله نورٌ للعقول، وأخلاقه ضياء للسريرة، وأقواله هداية للأبدان.

١٠- علموا أولادكم أنه ﷺ هو أجمل الناس وأبهاهم، إنْ صمَتَ يعلوه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، هو أنضر الناس وأحسنهم قدرًا، ورضي الله عن سيدنا حسان بن ثابت الذي قال:

لما نظرت إلى أنواره سطعت
وضعت من خيفتي كفي على بصري
خوفًا على بصري من حسن صورته
فلست أنظره إلا على قدري
الأنوار من نوره في نوره غرقت
والوجه مثل طلوع الشمس والقمر
روح من النور في جسم من القمر
كحُلَّة نسجت من الأنجم الزهر

*يقول الامام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم متحدثًا عن سيدنا رسول الله ﷺ:

شمس لقد أشرقت بجمال طلعتها
من شام أنوارها منها لقد سكرا

١١- علموا أولادكم أن الله أقامه ﷺ مقام نفسه فقال ﷻ: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وجعله الله ﷺ نائبًا عنه نيابة حقيقية في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

١٢- علموا أولادكم أنه ﷺ إمام الأنبياء والمرسلين، والشفيع المشفع عند الهول الأكبر، وهو الشفيع عند الحساب للمذنبين.

١٣- علموا أولادكم أنه ﷺ نجاة لنا جميعًا من الأهوال الموقفية يوم القيامة، ولولاه ﷺ لتمنى كل واحد منا يوم القيامة أن يكون ترابًا.

١٤- علموا أولادكم أنه ﷺ هو الممد لجميع الرسل قبل ميلاده وكانت الرسل نوابًا عنه، وهو ﷺ الممد لورثته من أولياء الله المواجهين لشمسه المحمدية.

يقول سماحة الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم رضي الله عنه:

الرسل من قبل الحبيب محمد
نوابه وهو الحبيب الهادي
موسى وعيسى والخليل وغيرهم
يرجون منه نظرة بوداد
رغبوا يكونوا أمة لمحمد
وبحبه فازوا بكل مراد

١٥- علموا أولادكم أن الله سبحانه جمله ﷺ بجماله فقال في كتابه العزيز: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وكمله بكماله فقال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وتجلى بجلاله فلا يقول العبد: لا إله إلا الله؛ إلا ويقول: سيدنا محمد رسول الله ﷺ.

١٦- علموا أولادكم أنه ﷺ هو الحبيب الذي قرب الله به كل حبيب، وهو ﷺ القريب الذي قرب الله به كل قريب.

١٧- علموا أولادكم أنه ﷺ وسيلة الوسائل، وهو ﷺ شفيع الشفعاء، وهو ﷺ غياثًا لجميع العالم يوم الفزع الأكبر.

١٨- علموا أولادكم أنه ﷺ زج به في الأنوار لعلو مكانه، وهو صاحب المقام العلي، ووقف جبريل ولم يزج به في الأنوار، يقول في ذلك حضره مولانا الإمام أبو العزائم:

وجبريل عند العرش حجب وقد رقى
مرادك في أعلى مقام الحظيرة

١٩- علموا أولادكم أنه ﷺ جعلت قرة عينه في الصلاة، وهي تشمل صلاة الله عليه، وهي جميل وعظيم المثوبات والعطايا من الله له ﷺ، وصلاته منه إلى ربه، وهي الصلاة المكتوبة، فهو عبد الذات وللذات يصلي.

٢٠- علموا أولادكم أنه ﷺ صاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة، وصاحب المقام المحمود.

٢١- علموا أولادكم أنه ﷺ سيد ولد آدم يوم القيامة. عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن

سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر] رواه الترمذي.

٢٢- علموا أولادكم أنه ﷺ أعطي خمسًا لم يعطهن أحد قبله: فقد نصر بالرعب مسيرة شهر. وجعلت له الأرض مسجدًا، فأيما رجل من أمته أدركته الصلاة فليصل. وأحلت له الغنائم ولم تحل لأحد قبله. وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس كافة. وأعطي الشفاعة.

٢٣- علموا أولادكم أن الله سبحانه نادى كل نبي باسمه فقال: يا آدم ويا نوح ويا موسى، أما النبي ﷺ ناداه الله بيا أيها النبي، يا أيها الرسول؛ تعظيمًا له.

٢٤- علموا أولادكم أن الله سبحانه لم يقسم بحياة أحد إلا النبي ﷺ، وقال سبحانه: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

٢٥- علموا أولادكم أن من جاء إلى النبي ﷺ وهو مؤمن ومصدق به يجد الله سبحانه غفورًا رحيمًا.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

٢٦- علموا أولادكم أن الله سبحانه جعل طاعته ﷺ دليل على محبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

٢٧- علموا أولادكم أنه ﷺ هو نعمة الله سبحانه الكبرى والعظمى التي تفضل الله بها على جميع خلقه فألف بين قلوبهم.

٢٨- علموا أولادكم أن سيد الخلق ﷺ إذا مشى لم يُرَ له أثر ظل، والعجيب أن العصا والعمامة إذا خلعهم ﷺ أصبح لهما ظل، قالوا: لحرمة وقوع ظله الشريف على الأرض، والبعض قال: لأنه ﷺ من نور والنور ليس له ظل، ويقول حضرة مولانا الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم:

"اللهم صل وسلم على من عجز الكل عن إدراك ظل صورته المحمدية"، وهذا أيضًا يذكرنا بالصورة المحمدية الكاملة في كل وقت وكل زمن والتي أشار إليها حضرة الإمام أبو العزائم قائلًا:

صور تجلت وهي هي لا غيرها
زيت الزجاجة عن مثال هويتي

٢٩- علموا أولادكم أن سيد الخلق ﷺ هو الصراط المستقيم فمن يطلب الصراط المستقيم، بقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، أي اجعلنا مرتبطين بهذا الصراط المستقيم، وهو حضرة النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ومن هنا تكون الهداية به وله.

٣٠- علموا أولادكم أن الله جعله ﷺ دليلًا عليه به سبحانه وواسطة بينه وبين خلقه. ومن أجله رفع قدر أنبيائه ورسله عليهم السلام.

٣١- علموا أولادكم أننا جميعًا نعجز أن نشكر سيدنا المصطفى ﷺ، وكيف نقوم بواجب شكره وكل فضل ونعمة وتوفيق وهداية وسعادة وبر وإيمان أفيض علينا وعمنا من محض فضله وعميم بره ﷺ، ولما عجزنا عن شكره ﷺ فإننا نطلب من الله ونسأله أن يجازى عنا سيدنا ومولانا محمد من خير ذاته خير ما جازى به نبيًّا رحيمًا شفوقًا بأمته.

٣٢- علموا أولادكم أنه ﷺ يحب أمته حبًّا يفوق حب الوالدين الرحيمين، فهو رحيم بنا شفوق علينا؛ قال تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

٣٣- علموا أولادكم أنه ﷺ هو الروح التي سرت في أجسامنا فأحيتنا الحياة الطيبة. فلما سرى نور سيدنا المصطفى في أسماعنا سمعنا كلام الله سبحانه، ولما سرى نوره في أبصارنا شهدنا جمال رب العالمين، ولما سرى نوره في قلوبنا فقهنا العلوم والأسرار فاطمأنت وسكنت.

٣٤- علموا أولادكم أنه ﷺ لم تؤتَ البشرية بجانب عقله ﷺ إلا كحبة رمل إلى جميع رمال الدنيا، فهو أرجح الناس عقلًا، وقد ظهر رجاحة عقل سيد الخلق ﷺ في الآتي:

- عندما ظهر الخلاف بين القبائل في قريش من له الشرف في وضع الحجر الأسعد وكادوا يقتتلون، فأشار عليهم أحدهم فقال: نحكم من يدخل من باب السلام. فدخل سيدنا المصطفى ﷺ، فقالوا: الصادق الأمين، رضينا بحكمه. ماذا فعل ﷺ لحل هذه المشكلة قال لهم: [أحضروا لي ثوبًا] فجاءوا به فوضع ﷺ الحجر الأسعد في منتصف الثوب وأمر كل قبيلة أن تحمل الثوب من جهة حتى لما اقتربوا من الكعبة المشرفة حمل النبي ﷺ الحجر ووضعه في مكانه المعروف، فأصبح حجرًا أسعد لما حمله النبي ﷺ.

- عندما تنافس الناس في المدينة من يكون له شرف ضيافة النبي ﷺ عنده، ماذا فعل سيد الخلق؟ قال لهم: [اتركوا الناقة فإنها مأمورة]، فانتهى التنافس بن القبائل تمامًا ناظرين للناقة أين تجلس.

جوانب الخلاف بين جمعية العلماء والطرق الصوفية

(٤)

الأستاذ الدكتور

نور الدين أبو لحية

الجمهورية الجزائرية

قال ابن الأثير: (البدعة بدعتان: بدعة هدى، وبدعة ضلال. فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو في حيّز الذم والإنكار، وما كان واقعًا تحت عموم ما ندب الله إليه وحضّ عليه الله ورسوله: فهو في حيّز المدح).

بقية: الفصل الأول:

جوانب الخلاف بين الجمعية والطرق الصوفية حول مفهوم البدعة وضوابطها

بقية: المبحث الأول:

حقيقة البدعة وحكمها

بقية: المطلب الثاني: حكم البدعة

بقية: الفريق الثاني: المتساهلون

روي عن ابن عمر مثله في صلاة الضحى، فقد روي عن الأعرج قال: سألت ابن عمر عن صلاة الضحى فقال: بدعة، ونعمت البدعة، وقد قال تعالى حاكيًا عن أهل الكتاب: ﴿رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧][١].

بل إن الفقهاء الكبار قسموا البدع هذا التقسيم، فقد روي عن الشافعي أنه قال: (البدعة بدعتان: بدعة محمودة، وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم)[٢].

وقال ابن حزم: (البدعة في الدين كل ما لم يأت في القرآن، ولا عن رسول الله ﷺ إلا أن منها ما يُؤجر عليه صاحبه، ويعذر بما قصد إليه من الخير، ومنها ما يؤجر عليه ويكون حسنًا، وهو ما كان أصله الإباحة، كما روي عن عمر: (نعمت البدعة هذه)، وهو ما كان فعل خير وجاء النص بعمومه استحبابًا، وإن لم يقرر عمله في النص، ومنها ما يكون مذمومًا ولا يعذر صاحبه، وهو ما قامت الحجة على فساده فتمادى القائل به)[٣].

وقال أبو حامد الغزالي: (وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله ﷺ، فليس كل ما أبدع منهيًّا عنه، بل المنهي عنه بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرًا من الشرع مع بقاء علته، بل الإبداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب)[٤].

وقال ابن الأثير: (البدعة بدعتان: بدعة هدى، وبدعة ضلال. فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو في حَيّز الذم والإنكار، وما كان واقعًا تحت عموم ما ندب الله إليه وحضّ عليه الله ورسوله: فهو في حَيّز المدح)[٥].

ولكن الذي نظر لهذا، ودافع عنه، حتى اشتهر به هو العز بن عبد السلام، فقد قال

البدعة فعل ما لم يُعْهَد في عصر رسول الله ﷺ وهي منقسمة إلى: بدعة واجبة، وبدعة مُحَرَّمة، وبدعة مندوبة، وبدعة مكروهة، وبدعة مباحة. والطريق في معرفة ذلك أن تُعْرَض البدعة على قواعد الشريعة: فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، وإن دخلت في قواعد التحريم فهي مُحَرَّمة، وإن دخلت في قواعد المندوب فهي مندوبة، وإن دخلت في قواعد المكروه فهي مكروهة، وإن دخلت في قواعد المباح فهي مباحة.

في كتابه الذي خصصه لمقاصد الشريعة، وسماه (قواعد الأحكام في مصالح الأنام): (البدعة فعل ما لم يُعْهَد في عصر رسول الله ﷺ وهي منقسمة إلى: بدعة واجبة، وبدعة مُحَرَّمة، وبدعة مندوبة، وبدعة مكروهة، وبدعة مباحة. والطريق في معرفة ذلك أن تُعْرَض البدعة على قواعد الشريعة: فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، وإن دخلت في قواعد التحريم فهي مُحَرَّمة، وإن دخلت في قواعد المندوب فهي مندوبة، وإن دخلت في قواعد المكروه فهي مكروهة، وإن دخلت في قواعد المباح فهي مباحة)[٦].

وتبعه على هذا الكثير من الفقهاء الذين انتشرت كتبهم ودرست في المدارس الإسلامية فترة طويلة، كالإمام النووي[٧]، والحافظ ابن حجر[٨].

بل إن الكثير ممن كتب في ذم البدع ذهب إلى هذا الرأي:

فأبو شامة في كتابه (الباعث على إنكار البدع والحوادث) يقول: (ثم الحوادث منقسمة إلى بدع مستحسنة، وبدع مستقبحة)[٩].

ومن المتأخرين الشيخ عبد الله الصديق الغماري، فقد قال في كتابه (القول المبين): (قَسّم عز الدين بن عبد السلام في قواعده الكبرى البدعة باعتبار استعمالها على المصلحة والمفسدة، أو خُلُوّها عنهما إلى أقسام الحكم الخمسة: الوجوب والندب والحرمة والكراهة والإباحة، ومَثّل لكل قسم منها، وذكر ما يشهد له من قواعد الشريعة. وكلامه في ذلك كلام ناقد بصير، أحاط خُبْرًا بالقواعد الفقهية، وعرف المصالح والمفاسد التي اعتبرها الشارع في ترتيب الأحكام على وفقها. ومن مثل سلطان العلماء في معرفة ذلك؟ فجاء تقسيمه للبدعة مؤسسًا على أساسٍ من الفقه وقواعدِهِ متين؛ ولذا وافقه عليه الإمام النووي والحافظ ابن حجر وجمهور العلماء تَلَقّوا كلامه بالقبول، ورأوا أن العمل به متعين في النوازل والوقائع التي تحدث مع تطور الزمان وأهله، حتى جاء صاحب (الاعتصام) فخرج عن جمهرة العلماء، وشَذّ بإنكار هذا التقسيم فَبَرْهَن بهذا الإنكار على أنه بعيد عن معرفة الفقه، بعيد عن قواعده المبنيَّة على المصالح والمفاسد لا يعرف ما فيه مصلحة فيطلب تحصيلها بفعله، ولا يَدْري ما فيه مفسدة فيطلب اجتنابها بتركه ولا ما خلا عنهما فيجوز فعله وتركه على السواء. وأخيرًا برهن على أنه لم يَتَذَوَّق علم الأصول تذوقًا يمكّنه من معرفة وجوه الاستنباط، وكيفية استعمالها، والتصرف فيها بما يناسب الوقائع، وإن كان له في الأصول كتاب (الموافقات) فهو كتاب قليل الجدوى، عديم الفائدة، وإنما هو بارع في النحو له فيه شرح على ألفية ابن مالك في أربعة مجلدات دَلّ على مقدرته في علم العربية، على أنّا وإن كنا نعلم أن للشاطبي دراية بعلم أصول الفقه على سبيل المشاركة: فلا نشك في أن سلطان العلماء فيه أمكن، وعلمه بقواعده أتم، وقواعده الكبرى خير شاهد على ذلك)[١٠].

ومنهم – كذلك – الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ المقاصد ومعلمها في هذا العصر، والذي تتلمذ عليه الشيخ عبد الحميد ابن باديس، فهو من القائلين بانقسام البدع، وقد حصل بينه وبين ابن باديس خلاف شديد في هذا، رأينا بعض صوره عند الحديث عن الاتجاه الفكري للجمعية.

---

(١) ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، الدار السلفية الهندية، (٢/ ٤٠٥).
(٢) أبو نعيم، حلية الأولياء، (١١٣/٩).
(٣) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (١/ ٤٧).
(٤) إحياء علوم الدين (٢/ ٣).
(٥) المبارك بن محمد الجزري بن الأثير مجد الدين أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث، المكتبة الإسلامية، (١٠٦/١).
(٦) أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق: محمود بن التلاميد الشنقيطي، دار المعارف، بيروت – لبنان، (٢/ ١٧٢).
(٧) قال النووي في (شرح النووي على مسلم (٣/ ٢٤٧): (قال العلماء: البدعة خمسة أقسام: واجبة ومندوبة ومحَرَّمة ومكروهة ومباحة).
(٨) قال في فتح الباري: (التحقيق: أن البدعة إن كانت مما تندرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنة، وإن كانت مما تندرج تحت مستقبح في الشرع هي مستقبحة، وإلا فهي من قسم المباح) (أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، ٢٥٣/٤).
(٩) عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة، الباعث على إنكار البدع والحوادث، دار الهدى – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨ – ١٩٧٨م، ص٢٢.
(١٠) عبد الله بن الصديق الحسني الغماري، الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين، مطبعة العهد الجديد، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م، ص ١٠٧.

E- mail : abdelhalem_ elazmy @ hot mail . com
محمول: ٠١٢٢-٧١٦-٨٠٢٨
٠١٠٦٦-٨٨٠-٧٨٣

مسلسل «الفتنة» ومخطط إشعال الحرب المذهبية بتزييف التاريخ (٨)

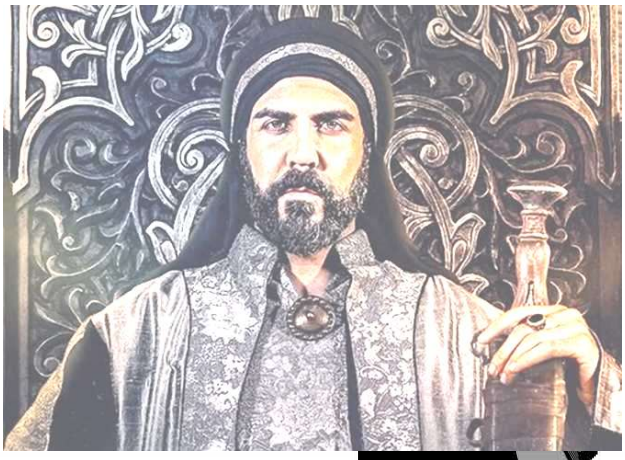

تحدثنا في الأعداد الماضية أن مسلسل "معاوية" الذي عرض في شهر رمضان الماضي، لم يكن مسلسلاً عابرًا صادفت الظروف عرضه في العام الهجري ١٤٤٦هـ، بل هو عمل مرتب لإشعال المنطقة طائفيًا؛ حتى يتمكن العدو من رجالها.

وشرعنا في تقديم نقد فني متكامل للمسلسل، وقلنا: إنه إذا كان النقد الأدبي سيخرج من تلاميذ مدرسة عميد الأدب الإسلامي، فلا بد أن يكون نقدًا شاملًا ومدققًا وموثقًا، يراعي الجوانب الفنية من إخراج وكادرات تصوير وكاستينج (اختيارات ممثلين) وديكور، وكذلك الجوانب التاريخية من أحداث ووقائع، وكذلك جوانب السياق العام، وأغراض جهات الإنتاج وصناع المحتوى.

فبدأنا بالحديث عن السياق العام للعمل، ثم تحدثنا عمن وراء العمل؟ وما وراءه، وبدأنا في نقد العمل الفني من خلال عرض الكاستينج، ثم الحديث عن أخطاء السرد والإخراج الفني والديكور، ثم شرعنا في تفصيل الأخطاء التاريخية والرد عليها ردودًا علمية موثقة.

❁ لقد قفزنا بتحليل الحلقات الخمسة الأخيرة، وهي تمثل ربع المسلسل تقريبًا؛ لأنها كانت محاولة فاشلة لتلميع سياسي لفترة حكم معاوية لتمهيد الأرض لحكم الأمويين الجدد لسوريا، لمعاوية الجديد (أبو محمد الجولاني) الذي غير اسمه لأحمد الشرع، ليحكم الشام من جديد تزامنًا مع عرض المسلسل.

❁ المسلسل كان ثقيلاً على قلوب أصحاب النفوس الطيبة، حيث إن الكذب والافتراء فيه بلغ ذروته، ولم يحتمل الكثير من الناس استكماله بعد حلقة أو حلقتين، لكننا استكملناه بهدف نقده فقط، ولولا ذلك ما رأينا منه مشهدًا واحدًا.

❁ حتى نكون قد خرجنا من هذا المسلسل بنتيجة إيجابية - رغم سلبياته الكثيرة - فإننا، سنشرع في كتابة مقال عن التزييف والخداع الذي يمارس في هذا الوقت في العدد المقبل، ليكون بمثابة رسالة توعوية للشباب والأطفال الذين نرجو أن تشملهم عناية الله، وألا يكون زمنهم زمان زيف لا حقيقة فيه.

بقية سادسًا: الأخطاء التاريخية وتزييف الأحداث

الحلقة السابعة عشرة:

بدأت الحلقة بمشهد تدريب في مدينة المدائن مقر زياد ابن أبيه، ثم تحدث الممثل بعد نهاية التدريب – كان من المفترض أنه يحرض جنوده على حرب معاوية - ولكن طريقة كلامه جعلت المشهد عبثيًا جدًا، لغته العربية ركيكة لدرجة لا توصف، أضف إلى ذلك أن القصة لا تطابق التاريخ : لا تُشير المصادر التاريخية الموثوقة إلى أن زياد بن أبيه عارض معاوية، بل على العكس كان من أبرز حلفائه وأكثر ولاة الأمويين ولاءً.

أما عن وجوده في المدائن (العاصمة السابقة للإمبراطورية الساسانية، قرب بغداد الحالية)، فالأمر مرتبط بفترة ولايته على العراق، لكن تفاصيل إقامته هناك غير واضحة.

كان زياد أحد أركان حكم معاوية، حيث استخدمه الأخير لتثبيت السلطة الأموية في العراق، بعد تمرده ضد الإمام علي عليه السلام

أعلن معاوية عام ٤٤ هـ/٦٦٤ م أن زيادًا هو أخوه من أبيه (حادثة الاستلحاق)، مما منح زيادًا شرعية سياسية واجتماعية، ووثّق التحالف بينهما.

ولكن قصة نسب زياد لأبي سفيان محل شك، حيث يعتبر معظم المؤرخين كالطبري وابن كثير أن القصة مُختلَقة سياسيًا، إذ لا دليل قاطع على صلة نسب بين زياد وأبي سفيان.

زياد بن أبيه لم يعارض معاوية، بل كان أداةً رئيسة في تنفيذ سياسته، والعلاقة بينهما كانت قائمة على الولاء المتبادل والمصلحة السياسية، مما جعل زيادًا أحد أهم أسباب استقرار الحكم الأموي في المشرق.

أي أن كل ما رأيناه في الحلقة عن هذه الشخصية مجرد تأليف ومخالف للحقيقية..

ثم رأينا كيف بدأ معاوية بتشكيل البريد للربط بين أراضي المسلمين، حيث يُنسب إلى معاوية تطوير وتنظيم نظام البريد في الدولة الإسلامية بشكلٍ مؤسسي وفعّال، فكان الغرض الرئيس من هذا النظام تعزيز الاتصال بين أرجاء الدولة الواسعة، ونقل الرسائل الرسمية، وتسهيل حركة الموظفين والبضائع، بالإضافة إلى جمع المعلومات الاستخباراتية.

وفي هذه الحلقة، بدء ظهور شخصية يزيد بن معاوية حيث دخل سباق للخيل وفاز فيه.

أما حديث معاوية عن عزل ابن عمرو ابن العاص عن ولاية الكوفة لم يحدث تاريخيًّا، لا تذكر المصادر التاريخية كـ تاريخ الطبري والكامل في التاريخ لابن الأثير أن أحد أبناء عمرو بن العاص تولى ولاية الكوفة أو عُزل منها.

الحلقة الثامنة عشرة:

بدأت الحلقة بمشهد من داخل سجن الكوفة، وهروب المستورد بن علفة، الذي كان من زعماء الخوارج في العراق، واشتهر بثورته ضد الحكم الأموي في الكوفة ٤٢هـ.

ثم رأينا أن معاوية قد كبر بالسن، وأن

الأمين العام والمتحدث الرسمي للاتحاد العالمي للطرق الصوفية الدكتور عبد الحليم العزمي

يزيد أصبح شابًّا.

وفي هذه الحلقة ظهرت شخصية معقل ابن قيس التميمي، الذي كان قائدًا عسكريًّا، وشارك في معارك مهمة في صف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم أصبح من أنصار الدولة الأموية بعد استقرار حكم معاوية بن أبي سفيان.

انضم معقل إلى جيش معاوية بن أبي سفيان، وأصبح واليًا على مناطق مثل البصرة، وواجه تمردات الخوارج المتكررة في العراق، خاصة في عهد معاوية وابنه يزيد، حيث كان الخوارج يشنون هجمات على المدن ويحاولون تقويض السلطة الأموية.

وفي الحلقة، شهدنا زيارة معاوية إلى المدينة ومكة بعد صلحه مع الإمام الحسن عليه السلام، حيث كانت المدينة جزءًا من ولاية الحجاز، التي شملت مكة والطائف، وعيَّن عليها ولاةً تابعين له، مثل مروان بن الحكم.

واختتمت الحلقة بمشهد وفاة عمرو بن العاص.

بعد وفاة عمرو بن العاص عيَّن معاوية أخاه عُتبة بن أبي سفيان واليًا على مصر سنة ٤٤ هـ لكن عُتبة توفي بعد فترة قصيرة.

وفي الحلقة ظهرت شخصية اسمها السوداء، مثلتها الفنانة صبا مبارك، وهي سيدة أرسلها الخوارج لقتل معاوية، وهي قصة خيالية أيضًا، بهدف زيادة التشويق الدرامي، وإرسال رسالة أن معاوية كان مستهدفًا أغلب الوقت.

الحلقة التاسعة عشرة:

بدأت الحلقة بمشهد لقاء معاوية مع السوداء، رغم أنه لم يذكر في أي مصدر موثوق أن معاوية كان له جارية بهذا الاسم، أو أن إحدى جواريه حاولت قتله.

قصة هذه المراة ورغم أنها كانت من وحي الخيال، لكنها كانت باهتة وغير منطقية، حيث دخلت القصر ومعها خنجر ولم يفتشها أحد، وصارت أقرب جارية لمعاوية، ويخبرها بكل شيء، بل وعندما تحدثت له أخته أنها تشك فيها لم يعر الكلام أي اهتمام.

ومن سياق الحوار، فهمنا أن يزيد تزوج وأصبح لديه طفل أيضًا.

وفي اجتماع معاوية مع القضاة يقول لهم بأن الأراضي الإسلامية تتوسع ويزداد عدد المسلمين، دون أن نرى أى من هذه التوسعات والفتوحات في المسلسل.

وحاولت الحلقة تعزيز تصرفات معاوية وكأنه ملك من ملوك روما أو بلاد فارس، خصوصًا مع حديثه أنه كان يحب فتاة مسيحية قبل إسلامه.

وأما عن مشهد تسميم معاوية، فلا توجد

أدلة تاريخية موثوقة في المصادر الإسلامية وكتب التاريخ المبكرة تذكر محاولات محددة لقتل معاوية بالسم، وإن كانت بعض الكتب المتأخرة لمحت لذلك.

وبات واضحًا أن كاتب سيناريو المسلسل لم يجد أي أحداث مهمة بعد أحداث الفتنة الكبرى، فاستعجل بجعل باقي الحلقات مجرد حلقات باهتة وقصص خيالية ومشاهد مملة، وهذا وإن دل على شيء، فيدل على أن معاوية بذاته لم يكن محط اهتمام، وأن الاهتمام الوحيد الذي حظي به حظي به لقتاله أهل البيت، مما أكسبه شهرة ومكانة بأنه تمرد على الإمام علي، لكنه لا يحظى بأي مكانة في ذاته المستقلة.

الحلقة العشرون:

بدأت الحلقة بالبحث عمن دس السم في طعام معاوية، وهنا يبدأ تسليط الضوء قليلًا على يزيد، واستمرت الأحداث من خيال الكاتب دون ذكرها في أي مرجع تاريخي.

بعد ذلك أرسل معاوية رسالة لزياد بن أبيه ليكون واليًا على البصرة، ثم أضيفت إليه ولاية الكوفة لاحقًا، مما جعله مسيطرًا على منطقة واسعة من العراق وشرق الخلافة.

ثم مشهد معرفة معاوية بأن السوداء هي من وضعت السم له، ولكن حوارهما كان مشهدًا دراميًّا عبثيًّا بعيدًا عن التاريخ والمنطق.

ثم خطبة زياد بن أبيه بأهل البصرة وهي خطبة تصلح للعرض في مسلسل كوميدي لا تاريخي، فلا كاريزما ولا أداء ولا لغة سليمة.

ثم سيطر الخوارج على الكوفة، وتم استرجاعها في مشهدين لا يتجاوز المشهد منهم دقيقة، وهي أحداث مفخمة، فالخوارج لم يسيطروا على الكوفة وإنما هاجموا أطرافها فقط.

الحلقة كلها حلقة خيالية بامتياز، فهي من تأليف الكاتب ولا تمت للتاريخ بصلة، ليثبت المسلسل أنه مسلسل خيالي منذ البداية.

الحلقة الواحدة والعشرون:

بدأت الحلقة بمشهد تدريب ليزيد بحضور أبيه معاوية الذي يظهر عليه التقدم بالعمر، ثم تدرب معه وهزمه رغم كبر سنه، وأمره أن يتجهز لكي يكون على رأس الجيش الذي سيذهب إلى القسطنطينية.

بعد تأسيس الدولة الأموية وسيطرة معاوية على الأمة الإسلامية، أصبحت القسطنطينية عاصمة البيزنطيين الهدف الإستراتيجي الرئيس بسبب موقعها الحصين بين آسيا وأوروبا، ودورها كمركز ديني وسياسي للعالم المسيحي، ورغبته في أن يحظى بشرف فتحها كما بشر رسول الله ﷺ؛ مما يكسبه شرعية دينية.

جهز معاوية أسطولًا بحريًّا ضخمًا بالتزامن مع هجمات برية على الأناضول لشغل البيزنطيين وحاصر الأسطول الإسلامي القسطنطينية من البحر لمدة سبع سنوات وفقًا لبعض المصادر، بينما حاصرتها القوات البرية من جهة البر.

قاد الإمبراطور قسطنطين الرابع الدفاع عن المدينة، مستفيدًا من خبرة قواته البحرية.

محاولة معاوية لفتح القسطنطينية كانت خطوة جريئة تعكس طموح الدولة الأموية المبكر، لكنها كشفت عن تحديات جغرافية وتكنولوجية (مثل النار الإغريقية) حالت دون النجاح، لتبقى المدينة صامدة حتى العصر العثماني.

ثم سمعنا كيف بدأت الجيوش تتجمع من كل مكان من أراضي الدولة الإسلامية (من مكة والمدينة والعراق ومصر واليمن وطبعًا جيش الشام وكل الأراضي)، ولم نرَ كل هذه التجمعات والتحشيد في الحلقة.

تصوير الحصار والمعارك التي حدثت على أسوار القسطنطينية كانت سيئة جدًّا ولا ترتقي إلى هذه الحرب التي دامت سنوات وراح الكثير من الأرواح في سبيلها، التنفيذ بدا وكأنه عمل وثائقي وليس عمل درامي.

بعد عودة الجيوش من حصار القسطنطينية بدأ معاوية بتجهيز يزيد ليكون خليفته، ليدشن بذلك الحكم الملكي في الإسلام.

تولي يزيد بن معاوية الخلافة بعد والده معاوية بن أبي سفيان كان نقطة تحول كبيرة في التاريخ الإسلامي، إذ مثّل بداية تحوّل الخلافة إلى نظام وراثي بعد أن كانت شبه انتخابية - وفق نظام الشورى - في عهد الخلفاء الراشدين.

المهم أن تغييب معاوية للبيعة التقليدية وتعيينه يزيد وليًا للعهد كان أول تحوّل جذري نحو الملكية الوراثية في الإسلام، مما أشعل صراعات دامية وحوّل مسار الخلافة من نظام قائم على الشورى إلى حكم أسري.

هذا الحدث يُعتبر أحد أسباب الانقسامات السياسية والمذهبية التي استمرت قرونًا في

العالم الإسلامي.

وفي النهاية عرض المسلسل خطبة لمعاوية قبل وفاته، وهو يقول: "سَيَأْتِيكُمْ بَعْدِي مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنِّي، كَمَا أَنَّ مَنْ كَانَ قَبْلِي خَيْرٌ مِنِّي"

صحيح أنه لا توجد مصادر موثوقة تثبت أن معاوية قال هذه العبارة نصًّا، لكن بعض الروايات التاريخية (كالتي أوردها ابن الأثير في الكامل في التاريخ) تذكر أنه أظهر ندمًا على تولية يزيد قبل وفاته.

وبدا واضحًا في هذه الحلقة أنه تم اختصارها بشكل سريع، وكأنهم يريدون أن ينتهي المسلسل بأي طريقة، ورغم أنها كانت الحلقة الأخيرة فقد ظهرت باهتة وضعيفة سواء على مستوى الحوار أو الإخراج أو الحبكة.

ملاحظات مهمة:

بشكل عام فإن المسلسل يتميز بالسيناريو الضعيف، واللغة الركيكة، والحوارات المبتذلة، والإخراج السيء، وقلت فيه مشاهد المعارك رغم أهميتها وتكلفة الإنتاج الضخمة، وظهرت عشرات المشاهد العشوائية، وكل مشهد تشعر بأنه ناقص، مع تسارع غريب وغير منطقي للأحداث والسياق الزمني، وكانت الأزياء والديكورات لا تناسب الحقبة الزمنية، واختيار الممثلين غير مناسب في أغلب الشخصيات.

لقد قفزنا بتحليل الحلقات الخمسة الأخيرة، وهي تمثل ربع المسلسل تقريبًا؛ لأنها كانت محاولة فاشلة لتلميع سياسي لفترة حكم معاوية لتمهيد الأرض لحكم الأمويين الجدد لسوريا، وكانت في أغلبها أحداث خيالية لا ترقى للتقييم، وظهر فيها الضعف سواء في الكتابة أو الإخراج، وقد استعنا في عرضها بالملخصات التي كتبها النقاد الفنيون لها، دون التعليق عليها.

هذه الحلقات لم تتطرق لا من قريب ولا من بعيد لمحاولات سم الإمام الحسن عليه السلام، وتم الاستغناء عنها لصالح محاولة خيالية لسم معاوية.

لم تتطرق لموقف الإمام الحسن وكلامه عن يزيد عندما قال معاوية: إنه ممن يستسقى الغمام بوجهه، ولم تتطرق لموقف الإمام الحسين عليه السلام من بيعة يزيد في عهد أبيه، ففي مشهد اجتماع معاوية مع أبناء الخلفاء وكبار الصحابة ليعرض عليهم بيعة يزيد، تم إغفال تواجد الإمام الحسين، وهو شخصية لم تجسد في المسلسل من الأساس.

استمر المسلسل في إخفاء شخصية الإمام الحسين إخفاءً مُخِلًّا لا مبرر له، سوى كراهية سبط الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

بعض الشخصيات التي كانت موالية للإمام علي عليه السلام وانقلبت لصالح معاوية، لم يوضح المسلسل سبب الانقلاب.

ولم يعرض المسلسل جرائم معاوية في حق أصحاب الإمام علي عليه السلام مثل الصحابي الجليل حجر بن عدي رضي الله عنه.

المسلسل في أغلبه كان مسلسلًا خياليًّا، تمنى كاتبوه أن يحدث، فلم يعرضوا ما حدث بصدق وأمانة في عمل من المفترض أنه تاريخي.

كل من شارك في هذا المسلسل كتابة أو إخراجًا أو في أي مهمة معاونة، ناصب أهل البيت العداء، من أجل تلميع شخصية معاوية، لتمهيد الأرض لمعاوية الجديد (أبو محمد الجولاني) الذي غير اسمه لأحمد الشرع، ليحكم الشام من جديد تزامنًا مع عرض المسلسل.

في الحقيقة إن المسلسل كان ثقيلًا على قلوب أصحاب النفوس الطيبة، حيث إن الكذب والافتراء فيه بلغ ذروته، ولم يحتمل الكثير من الناس استكماله بعد حلقة أو حلقتين، لكننا استكملناه بهدف نقده فقط، ولولا ذلك ما رأينا منه مشهدًا واحدًا.

في الحقيقة إن الأمة الإسلامية تدخل هذا العام مرحلة جديدة من التزييف والخداع، جزء منها يتم في الدراما كما في هذا المسلسل، وهناك محاور أخرى للخداع.

وحتى نكون قد خرجنا من هذا المسلسل بنتيجة إيجابية - رغم سلبياته الكثيرة - فإننا، سنشرع في كتابة مقال عن التزييف والخداع الذي يمارس في هذا الوقت في العدد المقبل، ليكون بمثابة رسالة توعوية للشباب والأطفال الذين نرجو أن تشملهم عناية الله، وألا يكون زمنهم زمان زيف لا حقيقة فيه.

وختامًا، أسأل الله أن نكون قد وفقنا في هذا النقد الفني الذي استمر لثمانية أشهر.

كما أسأله أن يكشف لقلوبنا حقيقة الجمال الربانى، الذى به ننجذب بكليتنا إلى الرضوان الأكبر.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله أجمعين.

سيدنا محمد
رسول الحرية
[٢/١]

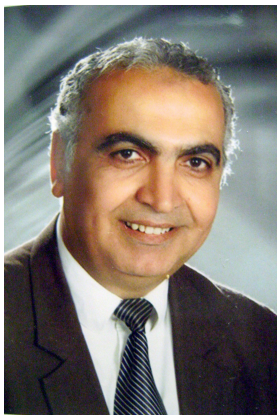

الأستاذ
صلاح البيلي

هذا كتاب ألفه الأديب عبد الرحمن الشرقاوي صاحب كتاب (علي إمام المتقين)، ومسرحية (الحسين ثائرًا) ثم مسرحية (الحسين شهيدًا)، وقد دمجهما معًا المخرج جلال الشرقاوي بنية إخراج مسرحية عن حياة واستشهاد سيدنا الحسين فأبى الأزهر ورفض تجسيد الإمام الحسين على الشاشة أو خشبة المسرح، وهذا هو موقف أهل السنة؛ لأن الشيعة يجسدون أئمة أهل البيت في صور وأعمال درامية دون حساسية، وللشرقاوي أيضًا أول قصة واقعية عن بؤس الفلاحين، وهي (الأرض) وقد حُولت إلى فيلم بنفس الاسم، وفي الكتاب الذي يعنينا الآن يسرد الشرقاوي قصة حياة النبي ﷺ سريعًا، فهو كتاب أقرب إلى التاريخ، وقد كتبه بمشاعر محايدة كأديب لدرجة أنه كلما ذكر اسم الرسول قال: (وقام محمد، ودخل محمد، وقال محمد)!.. بدون السيادة والصلاة والسلام عليه من باب التعظيم الذي نحن كمسلمين مأمورين به في القرآن الكريم الذي هو دستورنا بنص الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)، ومع ذلك سوف نتجاوز هذه الملاحظة وندخل في صميم الكتاب لنقف عند بعض الحوادث من سيرة الرسول ﷺ.

يتعرض المؤلف لموقف سيدنا محمد ﷺ من حرب (أحد) يوم اقتربت قريش بجيشها وفيه نحو ثلاثة آلاف محارب من المدينة، وشاور الرسول صحابته فقال لهم: (إن رأيتم أن تقيموا في المدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشَرّ مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها)، فاندفع الشباب متحمسين للخروج من المدينة للحرب، في حين كان رأي الحكماء الكبار من رأي الرسول وهو البقاء في المدينة، ومما قاله عبد الله بن أُبي باسم الشيوخ: (يا رسول الله! أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا، ولا دخل علينا إلا أصبنا منه، فدعهم، فإن أقاموا أقاموا بشرّ محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين)، ولكن رأي الأغلبية كان في الخروج فأذعن الرسول لهم، ودخل لبس عدة حربه، فلما خرج إليهم قال له بعضهم: (استكرهناك ولم يكن ذلك لنا فإن شئت فاقعد صلى الله عليك)، ولكن كان الأمر قد انتهى، فلم يكن للرسول وقد لبس عدة حربه أن يخلعها.

وجمع الرسول نحو ألف رجل من المهاجرين والأنصار وبعض الجياد والإبل وخرج نسوة من المدينة وراء الجيش بالطعام والماء، وقسم الرسول جيشه إلى

ثلاثة أقسام، وجعل عبد الله بن أبي على قسم منها وتحت إمرته نحو ثلاثمائة رجل، وكان يقول لأصحابه: أطاعهم وعصاني، ثم صاح برجاله في منتصف الطريق: والله ما ندري علام نقتل ها هنا أيها الناس، ولوى زمام فرسه راجعًا إلى المدينة ومن ورائه ثلاثمائة رجل، وصاح فيهم آخرون: لا تخذلونا، فرد عبد الله بن أبي: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، وتقدم الرسول بما بقي معه من جيشه وكانوا نحو سبعمائة.

كان جيش قريش يتفوق في عدده وجياده، وكانت هند بنت عتبة بينهم تشق الصفوف في زينتها ومن حولها نساء الطبقة العليا في قريش وأجمل الجواري، متعطرات متأنقات يحمسن الرجال، ويعبثن ببعض عظام هيكل بشري... وكان أبو سفيان يقود قلب الجيش، والجناح الأيمن يقوده خالد بن الوليد، والأيسر يقوده عكرمة بن أبي جهل.

وعسكر الرسول بجيشه في أقصى الوادي من ناحية جبل أحد، وأمر الرماة وعددهم خمسون رجلًا أن يصعدوا إلى أعلى الجبل وليجعلوا همهم رمي الفرسان بالنبال ومنعهم من التقدم للاشتراك في المعركة، وكرر الرسول على قائد الرماة قوله: (ادفع الخيل عنا بالنبال واثبت مكانك؛ حتى لا يأتونا من خلفنا). وشدد الرسول ألا يبرح الرماة أماكنهم مهما يكن من أمر.

وأعطى الرسول سيفه لأبي دُجانة الأنصاري وطلب منه أن يستوفي لهذا السيف حقه، فأمسك الرجل به وأخرج عصابته الحمراء فعصب بها رأسه، فقال الناس: (أخرج أبو دجانة عصابة الموت)، وجعل الرسول الراية لمصعب بن عمير، واصطف المسلمون يتقدمهم حمزة، وأبو دجانة، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وأشار الرسول على الرماة فرموا واضطربت خيل عكرمة وهي تواجه سيل النبال، واصطدم فرسان قريش وابتعد خالد بقسمه عن النبال، وأمر الرسول جيشه بالتقدم، فاندفع حمزة يصيح: (أمت أمت)، والمسلمون يتقدمون، وهند بنت عتبة تصرخ في رجال قريش:

ويها بني عبد الدار
ويها حماة الأدبار
ضربًا بكل بتار
إن تقبلوا نعانق
ونفرش النمارق

- يوم (معركة أحد) خالف الرماة أمر الرسول فانقلب النصر إلى هزيمة واستشهد حمزة وبكاه النبي وعاد يضم جراح أسر السبعين شهيدا!

أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

وتلبس لباس الحرب وتخمش صدور الرجال بالطعن، ويسيطر عليها أبو دجانة فتركع مولولة باكية، فيقول لها: إني لأكرم سيف رسول الله أن أضرب به امرأة.

وفجأة نزل الرماة من فوق الجبل لجمع الغنائم النفيسة وأسر الرجال والنساء، وخالفوا أمر الرسول لهم، ورأى خالد بن الوليد ذلك فزحف بقسم جيشه من خلف الجبل وحاصر المسلمين، وسقط حمزة بحربة (وحشي) العبد الحبشي الأسود، وانطلقت إليه هند بنت عتبة فأخرجت كبده وقلبه وعصرت كبده ولعقت دمه وأكلت كبده متشفية فيه[1]، وتقدم أبو سفيان من جثة حمزة فركلها وضرب شدقه بسن حربته، وصاح: مات حمزة، واضطرب المسلمون، وتقدم رجل من مصعب بن عمير حامل الراية وكان شبيهًا برسول الله فقطع يديه وقتله وصاح أنه قتل محمدًا، وأعطى الرسول الراية لعلي بن أبي طالب، وكانت رأس الرسول قد شجت ودمه ينزف من جسده وخده مشقوق انغرست فيه حلقتان من الزرد، وشد أبو عبيدة بن الجراح الحلقتين فانخلعت بعض أسنانه معها، ورمى سعد بن أبي وقاص بالسهام والرسول يقول له: (ارم، ارم بأبي أنت وأمي).

(1) والحقيقة أنها لفظته ولم تبلعه.

المستشرقون وتعصبهم الفاضح ضد العرب والإسلام
إرنست رينان كمثال
(٧/٧)

الكاتب الكبير
الأستاذ
محمد إسحاق
عبد الرسول

بقية: الرد على ما جاء في المحاضرة

تاسعًا: إن رينان وإنْ كان على علم ودراسةٍ بالفلسفة وكَتَب فيها مؤلفات عدّة إلا أننا نعتقد أنه لم يكن على شيء ذي بال من العلم. ولو كان رينان على شيء ملموس من العِلْم لعرف قيمة علوم العرب في مخطوطات التراث العلمي العربي التي تعج بها مكتبات فرنسا. ولكن الرجل لم يكن يَعْنيه شيء من علوم المسلمين ولم يكلف نفسه أَدنى جهدٍ في التعرف على إسهام المسلمين في هذا المجال حتى يكون على بَيّنةٍ ممّا يقول؛ لأنه كان مَعْنيّاً بأمْرٍ آخر لا يتعداه، وهو الطعْن على العرب وعلى المسلمين سواء في لغتهم أو دينهم أو حتى علومهم. ويخيّل إلينا أن رينان كان واحدًا من هؤلاء المستشرقين الذين لم يجهدوا أنفسهم في التعرف على المصادر الأصلية لتراث العرب في لغتها الأصلية، وأغلب الظن أن ذلك يرجع إلى ضعف مستواه في اللغة العربية باعترافه نفسه بأنه "مستعرب ضعيف المستوى في العربية"(١). وأغلب الظن أيضًا أن كل محصوله من دراسة العلوم عند المسلمين كان من قراءته لمستشرقين سابقين له. فقد لوحظ " أن علماء الاستشراق الكبار يعتمدون في دراستهم للإسلام على مؤلفات أوروبية في أغلب الأحيان فمثلًا أ. جيب A. Gibb عندما يستعرض تاريخ الإسلام يرتكز إلى تسعة عشر مؤلفًا أوروبيًّا ويَفْعل الشيء نفسه فنسان مُشيل V.Mosheel عندما وضَع رسالته الحديثة عن العربي الحديث، مما يدل على الرغبة في وضع النظريات من دون التعرف على باطن الأرض المدروسة. فهل يمكن أن تكون تلك النظرية علمية وسليمة؟ طبعًا، لا ..... الخ"(٢).

عاشرًا: لو كان رينان قد أجْهَد نفسه قليلًا في التعَرف على مآثر العرب العلمية لكان له رَأْي آخر، ولكنه لم يَفعل لسبب بسيط للغاية هُو أنه قد خشي أَنْ يهدم فكرته التي كرس لها حياته وهي الكيْد للعرب والطعن في الإسلام بوصفه عقيدة وإنه دين يناقض العلم. ولقد تبين لنا من تلك المحاضرة ومن سائر كتبه أنه يحتقر العلم العربي، حيث يقول: " فهذا العلم العربي وهذه الفلسفة العربية، لم يكونا إلا نقلًا حقيرًا للعلم والفلسفة اليونانية. وإذا تمعّنا في كل هذه الآثار نجد أن العلم العربي، لا شيء عربيًّا فيه، وأن صفحة من روجر بيكون لتحوي من التفكير العلمي الحق أضعاف هذا العلم غير الأصيل بالمرة"(٣). تلك أحكام جائرة بكل المقاييس، لا تليق بمؤرخ يفترض فيه الموضوعية والتجرد من الهوى والعصبية وإذا في قوله هذا أكثر من سقطة يمكن مراجعته فيها ورده إلى الصواب فإن سقطته الكبيرة هو استشهاده بروجر بيكونR. Bacon لأن بيكون (١٢١٠ - ١٢٩٠م) كما يقول فؤاد سيزكين: "قد اقتبس جميع ما نسب إليه من نتائج علمية من الكتب العربية المترجمة إلى اللاتينية"(٤). كما أن روجر بيكون الذي جعل رينان صفحة واحدة منه تحوي من التفكير العلمي أضعاف العلم العربي، قد آمن بفكرة تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة كالذهب، وهي الفكرة التي رفضها الغالبية العظمى من العلماء العرب، والتي نادوا جميعًا باستحالة هذا التحويل والتي سبق ذكرها رغم مرور قرون عدة من رفض العلماء العرب لها تطور فيها العلم في مجالات شتى، أي: إن بيكون لم يستفد من العقلية العلمية والنهج العملي لهؤلاء العلماء على الرغم من أنه في كثير من أعماله كان مستمدًّا من العلم العربي. ليس هذا فحسب بل يبدو أن علم بيكون هذا الذي أقر رينان أن صفحة واحدة منه تحوي من التفكير العلمي أضعاف علم العرب، كان عالة على العلم العربي بدليل اعتراف رينان نفسه -

وهذا من العجيب - في قوله عندما سُئل بيكون عن مسألة فلسفية: " إنه انتحل - يقصد بيكون - رأي الأساتذة العرب جهرًا"[٥]. وقال روجر بيكون في موضع آخر: " وظهر ابن رشد بعد ابن سينا، ظهر هذا الرجل ذو المذهب المتين الذي أصلح به أقوال أسلافه، وأضاف إليها كثيرًا. وقد استشهد بيكون استشهادًا صريحًا بشروح الطبيعيات وكتاب النفس وكتاب السماء والعالم"[٦]، وجميعها من مؤلفات ابن رشد.

خاتمة

على الرغم من أن رينان كان ذا شهرة غالبة، إلا أن بعضًا من مؤرخي الفلسفة قد نقدوا آراءه بل وذهبوا مذهبًا يخالف ما ذهب إليه. يقول مصطفى عبد الرازق في كتابه "تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية": "على أنا نجد من معاصري رينان الفرنسيين من يرميه بالحيف في حكمه على الفلسفة عند العرب. ففي كتاب دوجا Dugat " تاريخ الفلاسفة والمتكلمين من المسلمين " المطبوع بباريس سنة ١٨٨٩م نجده يقول: "وهذه أحكام - يقصد بها آراء رينان - تذهب في البت إلى حد الشطط، ومصدرها سوء التحديد للفلسفة وجهلنا بما للعرب من مصنفات غير شروحهم لمؤلفات أرسطو.

وما أسوق إلا شاهدًا واحدًا:

فهل يظن ظان أن عقلًا كعقل ابن سينا لم ينتج في الفلسفة شيئًا طريفًا؟ وهل مذاهب المعتزلة والأشعرية ليست ثمارًا بديعة أنتجها الجنس العربي؟"[٧].

إن رينان وإنْ كان على علم ودراسةٍ بالفلسفة وكَتَب فيها مؤلفات عديدة؛ إلا أننا نعتقد أنه لم يكن على شيء ذي بال من العلم. ولو كان رينان على شيء ملموس من العِلْم لعرف قيمة علوم العرب في مخطوطات التراث العلمي العربي التي تعج بها مكتبات فرنسا. ولكن الرجل لم يكن يَعْنيه شيء من علوم المسلمين ولم يكلف نفسه أَدنى جهدٍ في التعرف على إسهام المسلمين في هذا المجال حتى يكون على بَيِّنةٍ مما يقول؛ لأنه كان مَعْنيّاً بأمْرٍ آخر لا يتعداه، وهو الطعْن على العرب وعلى المسلمين سواء في لغتهم أو دينهم أو حتى علومهم. إن هذه المحاضرة ليست مجرد محاضرة من المحاضرات قد ألقاها مستشرق من المستشرقين، بل هي اتجاه عام في عالم الاستشراق، فقد شايع هذا الرأي عدد من المستشرقين مثل جيوم تنمان G.Tennemann الذي يقول: "إن العرب ميالون إلى التأثر بالأوهام، وأن القرآن يعوق النظر العقلي الحر، وأن أهل السنة يقفون عند ظاهر النص، ولا يتجاوزونه إلى ما وراءه من معان وأسرار، وبهذا عاقوا انطلاق الفكر"[٨].

ومن أصحاب هذا الرأي أيضًا مارتن بلسنر M. Plessner الذي كتب يقول: "وربما كان العلم هو أقل الميادين الثقافية خضوعًا لعملية الصبغ بالصبغة الإسلامية يضاف إلى ذلك، أن استمرار عداء المذهب السني الرسمي لعلوم الأوائل - يقصد علوم اليونان والفرس والهنود - وعدم تلاشى هذا العداء ظل صفةً مميزةً للإسلام. فقد كان أهل السنة المسلمون يرون أن كل علمٍ لا ينْبع من القرآن والسنة لا يعتبر عقيمًا فحسب، بل يعتبر الخطوة الأولى على الطريق المفضي إلى الزندقة"[٩].

ولو كان رينان قد أجْهَد نفسه قليلًا في التعَرف على مآثر العرب العلمية لربما كان له رَأْي آخر ولكنه لم يَفعل لسبب بسيط للغاية هُو أنه قد خشي أَنْ يهدم فكرته التي كرس لها حياته وهي الكيْد للعرب والطعن في الإسلام.

ولعل ما قاله المؤرخ الشهير ول ديورانت في مؤلفه الموسوعي "قصة الحضارة" يكذّب كل مزاعم رينان حول الإسلام والعلم إذ يقول في ختام الفصل الخاص بالفلسفة في ضمن حديثه عن "الفكر والفن في بلاد الإسلام الشرقية": "وأن ما يؤسف له أن يكون علمنا بتلك القرون الثلاثة (٧٥٠ - ١٠٥٠م) التي ازدهر فيها التفكير الإسلامي ناقصًا كل النقص. وليس ما نعرفه من ثمار الفكر الإسلامي في تلك القرون إلا جزءًا صغيرًا مما بقي من تراث المسلمين، وليس هذا الجزء الباقي إلا قسمًا ضئيلًا مما أثمرته قرائحهم، وليس ما أثبتناه في هذه الصحف، إلا نقطة من بحر تراثهم، وإذا كشف العلماء عن هذا التراث المنسيّ فأكبر ظننا أننا سنضع القرن العاشر - أي القرن الرابع الهجري - من تاريخ الإسلام في الشرق بين العصور الذهبية في تاريخ العقل البشري"[١٠].

---

(١) موسوعة المستشرقين، مصدر سابق، ص٣١١.
(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، ج١٣، ص٣٨٠.
(٣) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، د. محمد السويسي، ج٢ ص٢٤.
(٤) أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، لفيف من الباحثين، ص٥٥.
(٥) ابن رشد والرشدية، مصدر سابق، ص٢٧٤.
(٦) المصدر السابق، ص٢٧٥.
(٧) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبد الرازق، ص١٧.
(٨) قضايا من رحاب الفلسفة والعلم، د. توفيق الطويل، ص٢٥٠.
(٩) تراث الإسلام، شاخت وبوذورث، ترجمة د.حسين مؤنس وآخرين، ج٢ ص٢١٧.
(١٠) قصة الحضارة، مصدر سابق، ج١٣ ص٢١٢.

رأي الإمام أبي العزائم في مسائل العقيدة (٢٩)

مقدمة

تكاد كلمة المسلمين تتفق على أن المعارف التي يجب على المسلم استيعابها هي: أصول الدين، وأحكام الشريعة.

وإن كانت المعرفة - بشكل عام - مطلوبة، ومرادة، وبكل فروعها، فيما يتعلق بالكون والحياة، وبخاصة ما يرتبط بالجوانب الاجتماعية والإنسانية التي تحدد علاقة الإنسان ببني نوعه، وذوات جنسه من كافة المخلوقات، كالأخلاق الفاضلة، والمعاملة الحسنة، التي استقطبت جهودًا جبارة من المصلحين، وفي مقدمتهم الأنبياء والأئمة، والعلماء، والصالحين من الناس.

بقية: الفصل الأول: الإلهيات

بقية المطلب الثالث: صفات المعاني

بقية: ب - المعتزلة:

بقية: الرد على حجج القائلين بنفي الصفات:

(٢) صفة الحياة

من الصفات الوجودية الواجبة لله تعالى صفة "الحياة"، وهذه الصفة لم يختلف حول إثباتها لله تعالى أحد طالما أن الكل يقر بأنه تعالى موجود، وإذا كان الكل قد أطبق على كونه تعالى حيًّا فإنا نجد خلافًا قد وقع بينهم حول مفهوم "الحياة".

ومما تجدر الإشارة إليه هنا: أن القرآن الكريم عندما يتحدث عن صفة الحياة يجمع بينها وبين صفة القيومية[١] فنحن لا ندرك من حياة الله تعالى شيئًا إلا كونه ﷻ قيومًا للعالم كله، وكل ما في الكون إنما يقوم بأمره

تعريف الإمام أبي العزائم لصفة الحياة:

يعرف الإمام الحياة فيقول: "الحى الذى يدوم بقاؤه فلا ينقطع ويمنح الحياة لكل كائن بعد أن لم تكن له حياة بل وبالحياة يجب الاعتراف باتصافه بما يترتب على الحياة من سمع وبصر وكلام وعلم وإعطاء ومنع"[٢].

ويقول: "الحياة هي صفة قديمة ذاتية لله ﷻ، قال تعالى فى إثبات صفة الحياة له ﷻ: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥]، وقال تعالى في إثبات أنه حي لا يموت: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

تفصيل ذلك أنه تعالى حي قادر، جبار قاهر، لا يعتريه قصور ولا عجز، ولا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعارضه فناء ولا موت، وأنه ذو الملك والملكوت، والعزة والجبروت، له القدرة والسلطان والقهر، والخلق والأمر، والسموات مطويات بيمينه، والخلائق مقهورون في قبضته، وأنه المنفرد بالخلق والاختراع، المتوحد بالإيجاد والإبداع، خلق الخلق وأعمالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، لا يشذ عن قبضته مقدور، ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور، لا تحصى مقدوراته، ولا تنتهي معلوماته. أنوار تلك جلية لأن مفيض الحياة على هذا الكون يفيضها فضلًا منه سبحانه وكرمًا لا لحاجة إليها لغناه المطلق سبحانه عن كل من سواه، وافتقار كل من عداه إليه سبحانه،

برهان حق على أن مفيض الحياة هو الحي القيوم، وممد هذا الوجود الممكن بالحياة حي أبدى أزلي"[٣].

ثمرة الاعتقاد بهذه الصفة عند الإمام:

وبعد أن يعرف الإمام أبو العزائم الحياة ويقيم على هذه الصفة الدليل من القرآن الكريم، لا يخلى المقام من اللون الصوفي الذي يضفيه على هذه الصفة، مبرزًا الفائدة من الإيمان بصفة الحياة فيقول: "وصفات الله ﷻ تُعلم لنا بقدر ما نشهد من معناها المتجلي لا بقدر ما هي عليه في نفس الأمر، إذ ذلك لا يعلمه إلا الله تعالى، وما على المؤمن الكامل إلا أن يقول: آمنت بمعاني الصفات كما وردت"[٤].

الدليل على ثبوتها لله تعالى:

ذهب الإمام "الغزالي" و"ابن رشد" إلى أن ثبوت الحياة ضروري لمن ثبت له العلم والقدرة.

بينما ذهب "الأشاعرة" إلى القول بأن إثبات صفة الحياة لا يحتاج إلى سبق العلم باتصافه تعالى بالعلم والقدرة؛ إذ الأفعال في حد ذاتها تدل على كون صانعها حيًّا.

فهذان وجهان في الاستدلال؛ الأول يقوم على أساس أن ثبوتها ضروري تبعًا لثبوت العلم والقدرة، والثاني يعتمد على الاستدلال بالأفعال.

هذا وقد ذهب "الباقلاني" إلى نفي الاستدلال بهذين الوجهين؛ لما أنهما لا يسلمان من الاعتراض. بل الأفضل ـ حسبما يرى ـ اللجوء إلي الدليل السمعي في إثباتها، ورفض الدليل العقلي.

وذهب "سعد الدين التفتازاني" إلى أن صفة الحياة كصفتي "السمع، والبصر" يمكن الاكتفاء في إثباتهما بالدليل السمعي، لكنه لم يرفض الدليل العقلي.

د. سامي عوض العسالة

مدير عام بوزارة الأوقاف

رأى الإمام في هذه المسألة:

يتفق الإمام أبو العزائم مع الإمام "الغزالي" و"ابن رشد" في أن ثبوت الحياة ضروري لمن ثبت له العلم. حيث يقول: "وأما صفة الحياة فظاهر وجودها من صفة العلم، وذلك أنه يظهر في الشاهد أن من شرط العلم الحياة، والشرط عند المتكلمين يجب أن ينتقل فيه الحكم من الشاهد إلى الغائب، وما قالوه في ذلك صواب"[٥]، غير أنه يختلف معهما في صفة القدرة.

*** بعد أن يعرف الإمام أبو العزائم الحياة ويقيم على هذه الصفة الدليل من القرآن الكريم، لا يخلى المقام من اللون الصوفي الذي يضفيه على هذه الصفة، مبرزًا الفائدة من الإيمان بصفة الحياة. ويتفق الإمام أبو العزائم مع الإمام "الغزالي" و"ابن رشد" في أن ثبوت الحياة ضروري لمن ثبت له العلم.**

فيقول الإمام: " الله تعالى ليس كمثله شيء في كل شيء والقائلون أنه حي بتدبير الكون لأن الكون فيه الحياة ولا يفيض الحياة إلا الحي وبهذا يدللون على حياة الله بحياة الكون ولو فقد الكون، هل يكون الله تعالى ميتًا؟! تنزه ﷻ... فهو حياة كل حي من غير أن ينفصل من حياته المتنزه شيء وليس في الكون وتنزه ربنا أن يحل منه في الكون شيء وليس في ذات الله إلا سبحانه"[٦].

تعقيب:

ويتضح لنا من خلال ذلك النص أن الإمام يأخذ من الرأي الأول للإمام الغزالي والإمام ابن رشد إثبات صفة الحياة لله تعالى لثبوت العلم له.

وهو بذلك يخالف "الأشاعرة" فيما ذهبوا إليه من القول بأن إثبات صفة الحياة لا يحتاج إلى سبق العلم باتصافه تعالى بالعلم والقدرة؛ إذ الأفعال في حد ذاتها تدل على كون صانعها حيًّا.

كما يختلف مع الأشاعرة في الاستدلال بالأفعال بقوله متعجبًا: "ولو فقد الكون، هل يكون الله تعالى ميتًا؟!"

ويتفق مع الجميع في الاستعانة بالدليل السمعي لإثباتها.

وهذا يتفق مع ما قررناه سابقًا من استقلالية الإمام في آرائه، وعدم اتباعه لمذهب معين، أو رأي خاص، وإن كانت آراؤه تتفق مع أقوال أهل السنة.

---

(١) أسرار القرآن ج ٣ ص ٧٣.

(٢) كتاب الإسلام دين الله ص ٤٧.

(٣) كتاب الإسلام دين الله ص ٤٨.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) معارج المقربين ص١٤٠.

(٦) أسرار القرآن ج ٣ ص ٧.

۞ أرى ضرورة إعادة طباعة كتاب الطريقة العزمية تحت عنوان: (الإخوان: متى، كيف، ولماذا؟) والذي فضح هذه الجماعة!!.

۞ الإخوان: أول جماعة تبنت القتل والاغتيالات والهدم والحرق.

محمد الشندويلى

بقية: شخص المرشد

ما سلف ذكره مخالف لروح وجوهر ومقاصد الإسلام:

أ- الإنسان كائن مكرم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

ب- الشورى الحقيقية جزء أصيل في المجتمع المسلم، والنصوص الشرعية ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، والوقائع من مشورة سيدنا رسول الله ﷺ لأصحابه ﷺ الرجال والنساء (كما في صلح الحديبية مع زوجه أم سلمة ﷺ، وبدر والخندق وبني قريظة وأسرى بدر ... الخ، كلها تدل على ما يجب في العمل القيادي للمجتمع المسلم.

ج- لا قداسة إلا لله ﷻ، ولا عصمة إلا للرسل والأنبياء عليهم السلام والحفظ لورثتهم.

د- كل الناس يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا المعصوم سيدنا محمد ﷺ وورثته.

هـ- خطر وجود قائد سياسي في ظل وجود حاكم وصل إلى سدة الحكم بطرق معروفة، فوجود المرشد بوصفه زعيمًا سياسيًّا مخالفًا للشريعة الإسلامية جملة وتفصيلًا، قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وأخبار نبوية صحيحة بمجموعها توجب طاعة ولاة الأمور وعدم منازعتهم وتحظر سؤال الإمارة (رياض الصالحين للنووي).

ولقد لعب مرشد الإخوان البنا أدورًا سياسية في وجود ملك مصر، فمن ذلك حسب ما يذكره كتاب إخواني (حسن البنا مذكرات الدعوة والداعية حقيقة الجماعة بقلم مؤسسها، تقديم مستشار عبد الله العقيل، أبو الحسن الندوى - طبعة مركز الإعلام العربي):

- إقحام نفسه في مشكلة بين السعودية واليمن (الملك عبد العزيز آل سعود والإمام يحيى باليمن).

- تدخله في المغرب أثر اعتقال فرنسا للزعيم محمد علال الفاسي، وقانون الظهير البربري الصادر من فرنسا.

- اتصاله بعز الدين القسام عام ١٩٣٥م، وإرسال مندوبين عنه (محمد أسعد الحكيم وعبد الرحمن الساعاتي).

- عام ١٩٤٤م استقباله لزعماء دول من المغرب العربي الكبير في المركز العام للإخوان.

- إرساله رسائل تهنئة لزعماء سورية ولبنان عام ١٩٤٦م أثر الاستقلال.

- عام ١٩٤٧م مخاطبته لملك الأردن التخلي عن مشروع سورية الكبرى.

- عام ١٩٤٧م إرساله وكيل الجماعة صالح عشماوي إلى باكستان للتهنئة بقيام الدولة.

- عام ١٩٤٧م إصداره بيان استنكار لاعتداء هولندا على إندونيسيا.

- عام ١٩٤٧م مطالبته الحكومة العراقية إلغاء المعاهدة مع بريطانيا ونفس الشيء مع الحكومة المصرية وحكومة الأردن.

هذه الأدوار إن لم تكن سياسية في وجود حاكم وحكومة لمصر فأي شيء تكون؟ وهل تقام دول على تدخل سلطات وافتيات على حاكم؟.

- عمل مكائد ضد الحاكم من جماعة الإخوان على نفس خطى مرشدهم ضد نظم الحكم في مصر (الحكم الملكي، العهد الجمهوري بدءًا من الرئيس جمال عبد الناصر حتى الرئيس الحالي، (وضد نظام الحكم في دول الخليج العربي أشهرها دولة الإمارات العربية المتحدة، وسلطنة عمان، والمملكة العربية السعودية. ومساندة غزو صدام حسين لدولة الكويت، وإشعال الحروب الطائفية في سوريا حاليًا. من أعطى لمرشد الإخوان في أي عهد صك أو تفويض أو توكيل أدوار سياسية تلغى الحاكم الفعلي ومؤسساته ذات السيادة؟.

أن ما يجب فهمه في شخص المرشد لدى المرشد وتداعيات هذا: فهم الاختلاف بين حسن البنا (مؤسسها) ومؤسسي الحركات المنسوبة إلى الدين المعاصرة والتالية له، بل والسابقة، كونه: ينفرد بفكر حركي تنظيمي، وتركز السلطات الرئيسية في يده، وغموض لمزيد من الارتباط بالمرشد، وعدم محاسبته أو مساءلته من قِبل تابعين أو غيرهم، ومؤداه تحقيق أمور مهمة منها: السمع والطاعة المطلقة للمرشد.

من أنشطة المركز العام للطريقة العزمية

خـــلال شهـــر جمادى الأول ١٤٤٧ هـ

قامت مشيخة الطريقة العزمية تحت رعاية سماحة السيد محمد علاء الدين ماضي أبى العزائم شيخ الطريقة العزمية عدة محاضرات خلال شهر جمادى الأول ١٤٤٧هـ، تأكيدًا لدورها الكبير في تبصير الأمة بالواجب المطلوب منها:

ليلة أهل البيت

في يوم الثلاثاء ٢٩ ربيع ثان ١٤٤٧هـ، الموافق ٢٠٢٥/١٠/٢١م أقيمت ليلة أهل البيت الثانية والمائتان بقاعة الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبى العزائم رضي الله عنه، حيث حضرها سماحة السيد أحمد علاء أبو العزائم نائب عام الطريقة العزمية وعدد من أبناء الطريقة العزمية من مختلف المحافظات.

وقد افتتحها سماحة السيد علاء أبو العزائم شيخ الطريقة العزمية بالحديث عن رحلته الأخيرة بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث قالت له سيدة أمريكية: الإسلام دين الإرهاب، فرد عليها: من أين عرفتِ ذلك؟ قالت: من الجماعات الإرهابية الذين يقتلون الناس. فقال لها: وهل من يصد الناس عن الإسلام يعتبر مسلمًا، فقالت: أنتم تعتبرونهم مسلمين. فقال: أنا لا أعتقد أنهم مسلمون، ومن الخطأ أن

نعتبرهم من المسلمين، فمحمد بن عبد الوهاب وحسن البنا من المغضوب عليهم، وأتباعهم السلفية والإخوان من الضالين.

وبيَّن سماحته أن الذين هاجموا السيد أحمد البدوي لم يهاجموا حفل عبدة الشيطان عند الهرم، والسبب في ذلك أن البدوي حارب الصليبيين بيده، فيخافون أن يكون قدوة ويأتي من يحارب الصهاينة والصليبيين مثله.

وأكد سماحته أن الذين يهاجمون أهل البيت يقصدون صرف الناس عن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وختم حديثه بقوله: (لو أصلحنا أنفسنا سيأتي الحاكم الصالح، ولو تمسكنا بالصدق والأمانة والإخلاص سيتغير حالنا لأحسن حال، والتغيير إجباري وليس اختياريًا).

وواصل الدكتور عبد الحليم العزمي حديثه حول سيرة أهل البيت عليهم السلام، بالحديث عن استقرار رأس الإمام الحسين بمصر في عصر الإمام المجدد الخامس السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه، وهي مرحلة نقل القيادة، وهي مرحلة وسط بين مرحلة الفتح ومرحلة ظهور الدين.

ثم فصَّل الحديث عن الدور الصوفي في تحرير بيت المقدس بقيادة صلاح الدين الأيوبي، ولكي نربط الحاضر بالماضي يجب أن يقوم الصوفية بدورهم في تحرير بيت المقدس من الصهاينة.

وختمت الليلة بفقرة من الإنشاد الديني لقصائد الإمام أبي العزائم قامت بها الفرقة العزمية بقيادة الشيخ محمد حسانين.

وسوف تقام بالقاهرة ليلة أهل البيت:

١- الثالثة والمائتان يوم الجمعة ٧ جمادى الثاني ١٤٤٧هـ الموافق ٢٠٢٥/١١/٢٨م.

٢- الرابعة والمائتان يوم الجمعة ٦ رجب ١٤٤٧هـ الموافق ٢٠٢٥/١٢/٢٦م.

آيات الساعة العشر في القرآن الكريم والسنة

الحلقة السادسة

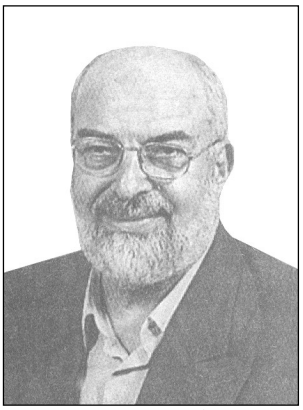

المرحوم الأستاذ الدكتور

فاروق الدسوقي

الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية

مقدمة

بيَّنَّا اللقاء الماضي أن العلامات أو الآيات الكبرى متسلسلة في الازمان من الأولى حتى العاشرة، وبعدها تقوم الساعة، بينما العلامات الصغرى غير متسلسلة أو متتابعة، إذا قد يحدث بعضها في مكان، ثم تختفي وتعود مرة أخرى، أو قد يحل محلها ما هو أشد منها.. وفي هذا المقال نستكمل الحديث، فنقول:

بقية: آيات الساعة العشر

بقية: أ- الفرق بين الآية والعلامة:

لتوضيح هذه الخاصية في العشر الكبرى نقول: إن من العلامات التي تدل على قرب الساعة، أي على قرب بداية النهاية، وحدوث العلامة الأولى، ما ورد من أحاديث صحيحة عن حذيفة ﷺ تفيد تدرج الأمة في النظام السياسي ونظام الحكم خلال مراحل تبدأ بخلافة النبوة، ثم ملك عضوض، ثم عهد الجبابرة والطواغيت، ثم الخلافة الراشدة المهدوية مرة أخرى، فإذا علمنا أن من علامات قرب الساعة كثرة الشرط، لاستطعنا أن نربط بسهولة وبوضوح بين كثرة الشرط لاعتماد الحكام عليهم، وبين عهد الجبابرة والطواغيت الذين يعتمدون في بقاء نظامهم وسلطانهم على القوة المحضة.

ولتعلمنا يقينًا - بمقتضى واقع الأنظمة الطاغوتية في أكثر بلدان العالم الإسلامي المعاصر[1] أن هذا الأمر مسلم به وطبيعي وموافق لسنن انهيار الدول والأنظمة عند علماء العلوم التاريخية والسياسية، ومع هذا فإنه يعد علامة من علامات الساعة. وربما كان من العلامات الكبرى القريبة لكنه ليس آية من آيات الساعة العشر؛ لأنه موافق لسنن وقوانين الحياة الاجتماعية والتاريخية للبشر سواء في الجانب السياسي أو الاقتصادي أو الخلقي أو الحربي.

إذن ثمة علامات تسبق الآيات وتتخللها، فإذا علمنا العلامات التي تسبق الآية الأولى التي هي بداية النهاية أمكننا توقع هذه الآية، ثم بعد ذلك يمكننا أن نعين (سيناريو) الأحداث بدءًا بالآية الأولى حتى قيام الساعة، سواء أكانت الأحداث من الآيات الكبرى، أم من العلامات والآيات الصغرى، ولكن هذا لا يكون حتى نعرف ترتيب الآيات الكبرى حسب وقوعها في الزمان، ثم نعرف العلامات التي تسبق الآية الأولى بعد تعيينه.

ب- اختلاف العلماء حول ترتيب الآيات:

اختلف العلماء حول مسألة ترتيب الآيات الكبرى حسب وقوعها في الزمن كما يلي:

١- القرطبي:

ذكر القرطبي في التذكرة رواية للإمام مسلم في صحيحه[2] فقال: من حديث حذيفة أيضًا قال: كان رسول الله ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه فاطلع إلينا فقال: [ما تذكرون؟] قلنا: الساعة، قال: [إن الساعة لا تكون حتى تروا عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعر عدن

ترحل الناس]، وقال بعض الرواة في العاشرة: [نزول عيسى بن مريم]، وقال بعضهم: [وريح يلقي الناس في البحر][٣].

وبناء على هذا النص وغيره مما اعتمده القرطبي ينتهي إلى أن (أول الآيات: ظهور الدجال، ثم نزول عيسى عليه السلام، ثم خروج يأجوج ومأجوج)[٤].

والذي يمكن ملاحظاته على ترتيب القرطبي أنه يعتمد الخسوف الثلاثة كما وردت بالحديث الذي عزاه إلى مسلم باعتبارها الآيات الثلاث الأول، وذلك لأنه اعتبر ورود الآيات العشر في هذه الرواية بدون الترتيب الزمني، ومن ثم جعل ظهور الدجال أول الآيات العشر.

٢- ابن كثير:

ذكر ابن كثير في كتابه (النهاية في الفتن والملاحم)[٥] كلامًا عن أحداث من المعلوم أنها تحدث في عهد المهدى كفتح القسطنطينية مرة ثانية، ثم فتح رومية بالملحمة العظمى، وهذا معناه أنه يرى هذه الأحداث مما تسبق ظهور الدجال.. ومن ثم صنَّف فصول الآيات الكبرى التي بين يدي الساعة كالتالي:

١- فصل في تعدد الآيات والأشراط.

٢- علامات بين يدي الساعة.

٣- عشر آيات بين يدي الساعة.

ثم ذكر هذه الآيات في كتابه بالترتيب التالي دون التصريح بأن هذا الترتيب هو ترتيب وقوعها في الزمان، ومع هذا أورده هنا استرشادًا بترتيبه إذ جعل في آخر هذه الآيات مبحثًا بعنوان: (ذكر زوال الدنيا وإقبال الآخرة)، وآخر بعنوان: (توقع قيام الساعة بين لحظة وأخرى) وهذا يدل على أنه قد رتبها بحسب وقوعها في الزمان، إلا إنه لم يصرح لعدم ثبوت هذا الترتيب عنده أو لشكه فيه، وترتيبه كالتالي:

١- نار تخرج من قعر عدن.

٢- الملحمة الكبرى.

٣- خروج الدجال.

٤- نزول عيسى بن مريم عليه السلام.

٥- خروج يأجوج ومأجوج.

٦- طلوع الشمس من المغرب

٧- الدخان.

والملاحظ على هذا الترتيب المستنبط من أقوال ابن كثير التالي:

١- جعل النار التي تخرج من قعر عدن أولها، وهي آخرها بنص الحديث.

٢- أدخل الملحمة الكبرى وهي ليست من الآيات العشر.

٣- أغفل الخسوف الثلاثة.

٣- البرزنجي:

جعل البرزنجي الباب الأول من كتابه (الإشاعة لأشراط الساعة)[٦] في الإمارات البعيدة عن الساعة المتوسطة، أما الباب الثالث فقد جعله في (الأشراط العظام) ورتب فيه الآيات على النحو التالي:

اختلف العلماء حول مسألة ترتيب الآيات الكبرى حسب وقوعها في الزمن كما يلي:
القرطبي عشر آيات أولها الدجال، ابن كثير سبع آيات أولها نار تخرج من قعر عدن، البرزنجي ثمان آيات أولها المهدي.

١- المهدى.

٢- خروج الدجال.

٣- نزول عيسى بن مريم.

٤- خروج يأجوج ومأجوج.

٥- طلوع الشمس من مغربها.

٦- دابة الأرض.

٧- الدخان.

٨- نار تخرج من قعر عدن.

وقال البرزنجي في هذه الأخيرة: (ومن الأشراط العظام وهي آخرها نار تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى محشرهم)[٧].

والذي يمكن ملاحظته أن البرزنجي جعل المهدى من الآيات العشر، وهو ليس منها؛ لأن توليه الخلافة وإعادة الخلافة الراشدة ليس من الآيات بل هو موافق للسنن، وإن كان نجاحه في هذا بتوفيق الله تعالى وتسديده ونصره كما هي سننه تعالى دائمًا مع المؤمنين المجاهدين المخلصين.

كما أنه رحمه الله لم يورد الخسوف الثلاثة مع ثبوتها في حديث مسلم الصحيح كثلاث آيات من الآيات العشر، ومن ثم صارت عنده ثماني آيات فقط.

---

(١) التي لا تقيم الحدود الإسلامية ولا تحكم بشرع الله تعالى وتعلن العلمانية والديمقراطية والاشتراكية أنظمة رسمية للدولة.

(٢) مسلم – كتاب الفتن باب الآيات التي تكون قبل قيام الساعة.

(٣) القرطبي التذكرة جـ ٢ ص ٦٥٤.

(٤) نفس المصدر والصفحة.

(٥) انظر: النهاية في الفتن والملاحم جـ١ لابن كثير، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، نشر دار التراث الإسلامي بالأزهر.

(٦) الإشاعة لأشراط الساعة تأليف السيد الشريف محمد بن رسول الحسيني البرزنجي ثم المدني، الطبعة الأولى طبعة مصر.

(٧) الإشاعة لأشراط الساعة صـ ١٨٢.

أباطيل الإسلام السياسى

الأسس الفكرية للإرهاب

(٨٠)

تقديس ابن تيمية (١)

قال محدثي:

ما لى أراك تنتقد شيخ الإسلام ابن تيمية "٦٦١هـ - ٧٢٨هـ" قدس الله روحه ونور ضريحه، رغم أنه العالم الفذ الذى جمع علم السلف وفقه الأئمة ورد على الفرق الضالة والمبتدعة.

قلت:

إنني انتقد ابن تيمية؛ لوجود أخطاء منهجية خطيرة بكتاباته المعتمدة المشهورة؛ تؤكد خروجه على منهج السلف الصالح سواء فى العقيدة أو الفقه، وليس بينى وبين ابن تيمية موقفًا شخصيًّا والعياذ بالله.

والذى يجعلنى اهتم وأحذر من أفكار ابن تيمية؛ أنه صاحب الفكر القائد الملهم للفرق والتيارات الدينية المنتشرة فى ربوع العالم الإسلامى منذ ما يزيد عن ٩٠ عامًا؛ وكلنا يعرف ما اقترفته هذه الفرق من تكفير وقتل وحرق وتدمير في كل مكان بالعالم باسم الإسلام!!

فكل فتاوى قادة تيارات العنف بعالمنا العربي والإسلامي تستند فقهيًّا لفتاوى ابن تيمية وهذا ثابت في أدبيات قادة هذه الفرق أمثال " محمد عبد السلام فرج، أيمن الظواهرى، أبو محمد المقدسى، أبو مصعب الزرقاوى، أبو قتادة الفلسطينى، أبو بصير الطرطوسى، أبو بكر البغدادى وغيرهم ".

قال محدثى:

كيف تقول ذلك وجميع علماء الأمة الأعلام قد شهدوا بعلم وعبقرية ابن تيمية، بل لقبوه بـ " شيخ الإسلام "؛ فهذا الحافظ المزى يصف ابن تيمية قائلًا: " كان يستوعب السنن والآثار حفظًا، إن تكلم فى التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر فى الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته... برز على كل أبناء جنسه"[١].

قلت:

مبدئيًّا أحب أن أوضح أنه ما من إمام إلا ويؤخذ منه ويترك، وكل الأئمة الكبار يجانبهم الصواب في بعض اجتهاداتهم، فليس هناك معصوم إلا النبى ﷺ.

ولكن أخطاء ابن تيمية - رحمه الله – تختلف جذريًّا، فهي أخطاء منهجية وليست أخطاء عارضة؛ فالخطأ المنهجى مثل فيروس الكمبيوتر الذي يضرب وحدة التحكم، مما يجعلها تصدر أخطاء خطيرة وغير متوقعة.

علاوة على أن لقب " شيخ الإسلام " ليس حكرًا على ابن تيمية - كما يتوهم الكثيرون - فهناك عدد كبير من الأئمة الذين لقبوا بلقب " شيخ الإسلام " قبل وبعد ابن تيمية حوالى ٣٠ عالمًا منهم:

الإمام عبد الله الأنصارى الهروى "٣٩٦هـ - ٤٨١هـ" وصفه بذلك ابن القيم تلميذ ابن تيمية[٢]، وكذا جلال الدين السيوطى[٣].

الإمام العز بن عبد السلام "٥٧٧هـ – ٦٦٠هـ " وصفه بذلك ابن العماد الحنبلى[٤].

الإمام ابن حجر العسقلانى " ٧٧٣هـ – ٨٥٢هـ" وصفه بذلك شمس الدين السخاوى[٥]، وابن خليل الدمشقى[٦]، ومحمد راغب الطباخ[٧]، وكامل عويضة[٨].

الإمام زكريا الأنصارى "٨٢٤هـ -

- لقب شيخ الإسلام لا يعطى لصاحبه عصمة ويجعله فوق النقد، وأكبر دليل على ذلك أن أتباع ابن تيمية ينتقدون هؤلاء الأئمة الملقبين بشيوخ الإسلام ويبدعونهم ويحذرون منهم!!.

٩٢٦هـ " وصفه بذلك ابن العماد الحنبلى[٩]، والسيوطى[١٠].

علاوة على أن لقب شيخ الإسلام لا يعطى لصاحبه عصمة ويجعله فوق النقد، وأكبر دليل على ذلك أن أتباع ابن تيمية ينتقدون هؤلاء الأئمة الملقبين بشيوخ الإسلام ويبدعونهم ويحذرون منهم!!

قال محدثي:

هل تستطيع إعطائي أدلة على بعض الأخطاء المنهجية الموجودة بمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، حتى لا يكون حوارنا كلامًا في الهواء بلا دليل؟!

قلت:

الأدلة موجودة بكتابات ابن تيمية المعتمدة:

ففي العقيدة:

يقول: (بقدم العالم بالنوع وأن جنس العالم أزلي وإنما الحادث هو الأفراد المنبعثة من المخلوقات، وتسلسل حوادث لا أول لها لم تزل مع الله، وقدم العرش، ووجود قوة طبيعية مودعة فى الأشياء بها يتم التأثير، وكما هو واضح فهذه أقوال كفرية خطيرة تتناقض مع أبجديات التوحيد!!، ويجسم العقيدة الإلهية مدعيًا أنه ليس فى كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها أنه ليس بجسم[١١]، ويزعم أن الله عز وجل يتكلم بحرف وصوت، ويثبت الانتقال والنزول في حق الله تعالى، ويثبت التحيز لذات الله تعالى، وينسب الجهة والمكان لله تعالى، ويثبت الجلوس في حق الله تعالى، ويقول بفناء النار)!!

وفى الفقه:

خالف الإجماع في ٦٠ مسألة[١٢]، وحرم

د. محمد حسينى الحلفاوى

أمورًا هناك إجماع على أنها مندوبة ومستحبة مثل شد الرحال لزيارة الروضة الشريفة بالمدينة، والتوسل بالأنبياء والصالحين، وأنكر المجاز في اللغة والقرآن والسنة[١٣] مخالفًا علماء الأمة قديمًا وحديثًا، حرم علم الكيمياء بدعوى أنه مضاهاة لخلق الله[١٤]، أفتى بأن علوم الطب والفلك والزراعة والبناء والرياضيات علوم أدنى منزلة من العلوم الدينية[١٥]، تحريم تعلم اللغة الفارسية[١٦]، أفتى بوجوب معاداة غير المسلم حتى لو أعطاك وأحسن إليك[١٧]، أفتى أن ممتلكات غير المسلمين ليست ملكًا لهم وغير مباح لهم التصرف فيها وهى مباحة للمسلمين، وهذا الكلام مستند فكرة الاستحلال التى تعتنقها الفرق الإرهابية!![١٨]، أفتى بوجوب إهانة مقدسات غير المسلمين[١٩]، أفتى بقتل المبتدعين - من وجهة نظره طبعًا - حتى وإن تابوا ولم يكونوا كفارًا[٢٠].

وفى الحديث:

رد أحاديثًا صحاحًا بعضها متواترة بالمعنى وموجودة بالصحيحين.

قال محدثي:

هذه أكاذيب وأباطيل نسبها حساد شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه، وقد رد عليها وفندها علماء السلفية قديمًا وحديثًا.

قلت:

هذه ليست أكاذيب يا أخى الكريم، فهذه الأمور ثابتة جلية فى كتب ابن تيمية، ومن أخذها عليه أئمة كبار أعلام ومشهود لهم.

قال محدثي:

كيف تدعى هذا، وقد شهد العلماء بإمامة ابن تيمية، كما أوضحت من قبل؟!

قلت:

سأورد لك أقوال طائفة من علماء الأمة الكبار الذين بينوا أخطاء ابن تيمية وردوها وحذروا منها في العدد المقبل إن شاء الله تعالى.

---

(١) الدرر الكامنة ج١ ص ١٥٦، ١٥٧.

(٢) مدارج السالكين ج٣ ص ٣٦٦ طبعة المكتبة الشاملة.

(٣) طبقات المفسرين ص ٥٧ المكتبة الشاملة.

(٤) " شذرات الذهب" ج٧ ص ٥٢٣.

(٥) " الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر " للسخاوى.

(٦) " جمان الدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر " لابن خليل الدمشقى.

(٧) " ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر " لمحمد راغب الطباخ.

(٨) " ابن حجر العسقلانى شيخ الإسلام" كامل عويضة.

(٩) شذرات الذهب ج١٠ ص ١٨٦.

(١٠) " نظم العيقان فى أعيان الأعيان " للسيوطى المكتبة العلمية بيروت ص ١١٣.

(١١) "بيان تلبس الجهمية" لابن تيمية ج١ص ١٤.

(١٢) " الأجوبة المرضيّة على الأسئلة المكية " للعراقى، تحقيق محمد تامر ص ٩٢، ٩٣، ٩٩.

(١٣) " مجموع الفتاوى " لابن تيمية ج٧ ص ٦٠.

(١٤) " مجموع الفتاوى " لابن تيمية ج٢٩ ص ٢٠٣، ٢٠٦.

(١٥) " درء تعارض العقل والنقل " لابن تيمية مجلد ٣ ص ٣٥.

(١٦) " اقتضاء الصراط المستقيم " لابن تيمية ج١ ص ٥٢٠.

(١٧) مجموع الفتاوى ج٢٨ ص ١١٨.

(١٨) مجموع الفتاوى ج٧ ص ٣٤.

(١٩) اقتضاء الصراط المستقيم ج١ ص ٥٣٥.

(٢٠) مجموع الفتاوى ج٢٨ ص ٣٠٣.

شروح الحكم من جوامع الكلم
للإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم

الأستاذ
سميح محمود قنديل

الحكمة السابعة والسبعون بعد المائة

صَلِّ عليكَ بِهُوِيَّتِه، ليجذبكَ إلى الغيبِ المصُون، وصَلِّ على حَبِيبِه ومُصْطفَاه بأحَدِيَّة ذاتِه، لتعلم قدرَك في كَوْنِه ﷺ.

جوامع الحكم

حكم عالية، ودرر غالية، أفيضت من الكتاب المسطور، والبحر المسجور، ونطق بها لسان الرق المنشور، أخذًا من البيت المعمور. سعد من فهم هذه الحكم علمًا، أو تمتع بها ذوقًا، أو سار على هديها سلوكًا؛ لأن عباراتها من بحر عرفان ونور بيان مجدد هذا الزمان.

نقدم إحدى هذه الحكم العظيمة يعقبها تعليق نسترشد به في نيل المجد الإسلامى.

الصلاة معروفة لغة واصطلاحا ولها عدة أنواع:

أ- صلاة الله علي المؤمنين.

ب- صلاة الله والملائكة على حضرة النبى.

ج- صلاة النبى ﷺ علينا.

د- صلاة العباد على النبى.

هـ- صلاة الله المفروضة على المسلمين بمعنى الصلة والدعاء، وكلها لها فى القرآن آيات بينات.

وفى هذه الحكمة يقول الإمام رضي الله عنه: "صَلِّ عليك بهُويتِه"، الخطاب هنا للعبد المؤمن الذى صلى عليه الله ﷻ مع من صلى، فى قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، والصلاة من الله على العبد منحة ربانية، وسابقة حسنى أولية، فيصله سبحانه به، ويتعهده بالهداية والعناية، ليخرجه بها من ظلمات حسه ونفسه، ووهمه وكونه، وجهله وظلمه، وبعده وكفره، إلى نور التوحيد الخالص، واليقين الحق، والإيمان والرحمة، والطاعة والعبودية، والسكينة والنور والأخلاق، والملائكة أيضًا تصلى عليه، أى تدعو له وتحفظه من شياطين الإنس والجن.

والصلاة علينا كانت بالهُوية، يعنى بالضمير المشير إلى الذات العلية: (هوَ) ليجذبنا ربنا بها إلى الغيب المصون، والسر المكنون، فما معنى الهوية ودلالتها فى الآية القرآنية؟.

أشار سيدي عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه إلى الهُوية الإلهية أنها من بحر قوله تعالي: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بدأ بالاسم: (هو) وختم بالاسم: (هو) فما من اسم إلهي إلا وهو عين الهوية، حيث إن كل اسم إلهي عبارة عن دائرة تظهر بحكم الهوية في أربع مراتب، وهي: الأولية والآخرية، والظاهرية والباطنية، فكل اسم من أسمائه تعالي حكمه

دوري في تلك الأربعة مراتب لسرّ الاسمين: المبدئ والمعيد، والأول بحكم الهوية هو عين الآخر، والظاهر بحكم الهوية هو عين الباطن، والأولية والآخرية والظاهرية والباطنية، لهم سريان الأحكام في سائر الشئون الدنيوية والبرزخية والأخروية، فإذا تحققت بذلك انكشف لك أولك وآخرك، وظاهرك وباطنك، وتجلي لك كتابك وصراطك وميزانك، وميزت جنتك من نارك، وعاينت قيامتك: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾، فأنت عين الشأن، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، فهويته عينك، والشئون الأسماء، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾؛ لأن الحكم لهم من جهة حقائقهم، فقد حكمت عليهم حقائقهم به بما كانوا عليه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وفي كتابه: "السر الأعظم" يقول الدكتور مصطفى محمود رحمه الله:

ومقام الهُوية الإلهي هو مقام الجمع بين الضدين: الأول والآخر والظاهر والباطن من عين واحدة، بلا تقابل وبلا جهة، والعارف لا يصل إلى الجمعية مع الله إلا ببلوغه هذه الدرجة من الجمع بين الضدين، في ثبوت عينه وفنائه حال المشاهدة، وانتفاء الجهات بالنسبة له، وهو بهذا يعلم مكانه من حيث هو صورة رامزة للحق: ﴿ومَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ولكنَّ اللهَ رَمَى﴾.

وهذا هو مقام الهُوية الإلهية، وهو أعلى مقام وأخفى مقام، وليس لأحد فيه قَدَم، وبهذه الدرجة نفسها مقام الأحدية، فالأحد هو الآخر مقام عزيز منيع الحمى، ولم يزل في العمى، لا يصح له تجل أبدًا فإن حقيقته تمنع ذلك، يقول ابن عربي: إنه الوجه الذى له السبحات المحرقة فكيف هو؟، فلا تطمعوا يا إخواننا في رفع هذا الحجاب، فإنكم تجهلون.

والهُوية يعبر عنها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه بحرف: "الهَاء"، والهاء كما نعلم أعمق الحروف نطقًا ومخرجًا وصدورًا، فهي تخرج من الصدر من الجوف، بعكس حروف أخرى سطحية مثل: الصاد والسين والميم تخرج من اللسان والشفتين، ولذلك يتكلم عن: "هاءِ الهُوية"، ويعتبر الصاد والسين رموزًا للجسد وهو: (الرسم والسور)، وهذا كلام أهل المشاهدات، ولا قدَم فى هذا الموضوع إلا لمن شاهد.

إن الشمس تنجلى فى مرآة القمر، وليس فى القمر من الشمس شيء، كما أن نور الشمس من حيث عينها هي من تجلى اسمه النور، دونما حلول، فليس في الخلق من الخالق شيء، وليس هناك تكرار في المظاهر الإلهية برغم الكثرة؛ لأن كل شيء له وجه خاص يختلف به عن مثيله، فلا مثلية إلا في الظاهر، وهذا الوجه الخاص هو صلة كل شيء بالله، وهو سر الإبداع الإلهي الذي لا يكرر نفسه، ولا يمكن أن يكون العبد رب بأوصاف تجلى بها الرب عليه، فالعبد عبد وإن علا، والرب رب وإن تنزل.

والواحد كما نعلم مندرج في جميع الأعداد وسار فيها، والأعداد هي مضاعفات الواحد، وهى تكشف لنا جميع الاحتمالات الرياضية والحسابية في الرقم واحد، وهى تفصيل ما أُجمل واستسر فيه، فالواحد متنكر في الأعداد، يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

ولولا التنكر لم يلح معدود، ويقول نظمًا:

إن التنكُّرَ حِصْنَنا في سِرّنَا
لولا التَّنكُّر دُكَّتِ الأكوَان

والأحدية غير الواحدية، فالأحدية صفة الذات المقدسة التي هي غيب عن الأرواح والعقول، ولكن الحق أفاض على نبيه قوة إلهية تحقق بها بمقام شهود آيات الذات: ﴿لقدْ رأى من آيَاتِ رَبِّه الكُبْرى﴾، يعنى الآيات الخاصة بذات الحق، فالله اسمه الأحد، وصفته الأحدية، وهى إشارة لحضرة الذات بدون ملاحظة الأسماء والصفات، ولم يفز بأولية الحقية في مقام الأحدية إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن أسماء الله تعالى: الواحد، وصفته الواحدية، ومعناه: تنزل أنوار الحق في مجالي الأسماء والصفات، فتخفى بقوة أنوارها الكائنات، فالمشاهد للوحدانية يرى أنوار الأسماء ويستغرق فيها ولا يلاحظ الآثار؛ لأنه يرى الضار والنافع، والمعطى المانع.

والوحدانية صفة الحق، التي جمع الله فيها بين أنوار الأحدية، وتجلى الواحدية، وظهور المظاهر الكونية، وذلك من عجائب القدرة الإلهية، فإن المشاهد للذات الأحدية يذهل بالكلية عن مشاهدة أسمائها وصفاتها، ولكن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم جمله الله بشهود الذات في عين شهود الأسماء والصفات، في عين إثبات الآثار، ومراتب الوجود، وإقامة الحدود والقيود، فسبحان المعطى الوهاب.

واعلم أن الإنسان - وهو أكمل النسخ وأتم النشآت - مخلوق على الوحدانية لا على الأحدية، فهو واحد وليس مطلق أحد، فالوحدانية لا تقوى قوة الأحدية، والواحد لا يناهض الأحد، ولأن الأحدية صفة ذاتية للذات الهوية، فلهذا جاء الأحد مع أوصاف التنزيه للرب فى سورة الإخلاص: ﴿قلْ هوَ اللهُ أحَد﴾.

وإذا كانت حضرة تشبيه ولا تشبيه، وحضرة تمثيل ولا مثيل، وإذا كانت هى ضرب أمثلة بالصور والتجليات، وإيماء بالظاهر للتنبيه على الباطن، وبالعدد للتنبيه على الواحد، وبالمشهود للتنبيه على الغائب، فما هو ذلك الغائب المشهود، الباطن الظاهر، الواحد الأحد؟.

هو: الهُوَ، هو الذات والوجه: ﴿كلّ شَيءٍ هَالِكٌ إلَّا وجْهَه﴾، والمقصود، تهلك الأشياء أما وجهها - أى ذاتها - فلا تهلك، وليس المقصود بالوجه هنا وجه الله؛ لأن الله ليس شيئًا بل ليس كمثله شيء، يقول ابن عربي رضي الله عنه: لو عُرف الهُوَ لما كان هُوَ.

ويقول إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه عن الذات الإلهية:

هيَ فى كنْزِ العَمَا ليسَت تُرى
إن تجَلَّت أصْعَقت أهلَ الكَمَال
والجَلالُ لها سِياجٌ مانِـــــعٌ
عن جِمَاها كلَّ روحٍ أو عِقَال
نُزهَت عن أن يرَاهَا غيرُهَا
أشْرقتْ بالاجْتلا حَالَ انفصَال
مَظهرٌ يُجْلى لنا أنوَارَهَـــــا
نزّهنْها عن حُلولٍ واتصَـــال

لقد صلى الله تعالى على حبيبه بذاته العلية، وباسمه الأعظم، وصلى على عباده المؤمنين بالهوية، ليعلم العباد قدر حبيب الله ومصطفاه، ويعلموا قدرهم بجانب قدره العظيم.

عبرة المعتبر (٤)

من تأويل

معاني وإشارات قرآنية

فضيلة الشيخ قنديل عبد الهادى

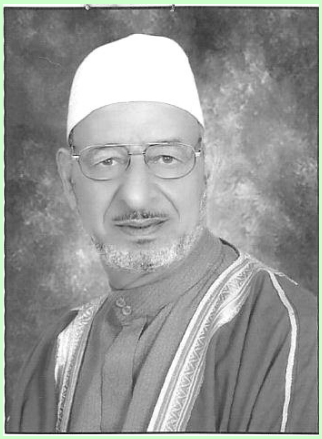

❁ ما يتلقاه السالكون المخلصون من أفواه العارفين بالله تعالى، إنما هو علم التوحيد فحسب، الذي يجعل من تلقاه من أفواه أهل العلم بالله يفوز بشهود وجه الله حيث ولّى وجهه، ويذكر الله تعالى عند شهود كل كائن.

❁ من آمن بأي رسول من الرسل ولم يؤمن بخاتم الرسل كان كافرًا شرعًا وعقلًا، لأن الله تعالى أرسل الرسل تترى، وأوجب على أهل كل زمان رسولٌ أن يؤمنوا به وإلا كانوا كفارًا، لأن لكل رسول حكمة يقتضيها الزمان والمكان.

❁ يبين الإمام أبو العزائم أن النفوس العنادية كثيرة، فإنك ترى بعض المسلمين إذا اعتقدوا عقيدة في رجل ثم مات الرجل وأقام الله بدلًا من أبدال الصديقين غيره أنكروا على الحيّ.

أهل القلوب

ذكر الإمام المجدِّد في معاني قول الله تعالى: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾؛ أن لأهل القلوب تأويلًا في هذه الكلمة؛ أن الله تعالى قَدَّر في أزله أن يشهدهم جماله عليًّا جليًّا يوم: ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ويعاهدهم على أنفسهم أن لا ينسوا هذا المشهد ويعتذروا بكفر آبائهم من قبلهم، فنسوا وكفروا بهذا المشهد العليّ واتبعوا آباءهم، فكان كفرهم في سابق علم الله، لما قدَّره عليهم من إقامة الحجة الواضحة بالشهود كفاحًا، ولجحودهم وإنكارهم عهد الله.

وهذا التأويل إشارة ظاهرة، أما ما فوقها فيُعلِّمه الله تعالى لمن يشاء بدليل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

كيف يتحقق الذكر الكثير

أما ما يتلقاه السالكون المخلصون من أفواه العارفين بالله تعالى، فإنما هو علم التوحيد فحسب، الذي يجعل من تلقاه من أفواه أهل العلم بالله يفوز بشهود وجه الله حيث ولّى وجهه، ويذكر الله تعالى عند شهود كل كائن؛ لأن آيات الله تعالى المنبلجة في الكائنات يكون بها داوم الذكرى والذكر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

ولا يتحقق الذكر الكثير بأن يكون باللسان فقط، بل لابد أن يكون بكل الجوارح:

فذكر العين: شهود آيات الله في مكوَّناته...

وذكر الأذن: سماع تسبيح الكائنات لله تعالى...

وذكر الأنف: ظهور الحي النافع في كل نفَس...

وذكر اللسان: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلاوة القرآن، ودراسة العلم، وأن يكون رطبًا بذكر الله تعالى...

وذكر اليد: دفع الأذى، ونصرة المظلوم، والبسط بالعطية للفقراء، والجهاد في سبيل الله...

وذكر القلب: دوام مراقبة الله تعالى، واستمرار رعاية أحكامه، واستحضار عظمته العلية، وعقده على كمال التوحيد والحب الخالص...

وذكر البطن: أن تتغذى بقليل من الحلال الخالص...

وذكر الفرج: التدبر فيما أودعه الله فيه من عمارة الكون وحفظه من معصية الله تعالى...

وذكر الرِّجْلَين: الصبر على الشدائد في الجهاد بسرعة إغاثة الملهوف...

وهذا بحسب الظاهر؛ وهو الذكر الكثير.

أما ذكر الرُّوح والعقل والنفس؛ فإنه يُتَلَقَّى من ألسنة العارفين لقلوب الصديقين، وقد يتفضل الله به على أهل التقوى علمًا لدنيًّا.

إيمانٌ لا يُعتد به عند الله تعالى

في قول الله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ هذه الجملة تفيد - بحسب المقتضيات اللغوية

- نفي الإيمان بالمرة عنهم.

ومَن قال (ما) زائدة أثبت لهم الإيمان بموسى عليه السلام؛ ونفى عنهم الإيمان بمحمد ﷺ، ومن آمن بموسى عليه السلام ولم يؤمن بمحمد ﷺ فإن إيمانه قليل جدًّا لا يُعتد به عند الله تعالى وهو كفر، ويكون: ﴿قَلِيلًا﴾ صفة لمصدر محذوف تقديره: يؤمنون إيمانًا قليلًا.

وبذلك تكون: (ما) ليست زائدة، وتكون بمعناها اللغوي دالة على أشياء عامة يخصصها ما بعدها ويمنع كونها بمعنى مَن، لأنها لو كانت بمعنى مَن - أو بمعنى الذي - لوجب رفع ﴿قَلِيلًا﴾.

مَن آمن بأي رسول من الرسل ولم يؤمن بخاتم الرسل كان كافرًا شرعًا وعقلاً

والإيمان في اللغة هو التصديق، وقد بيَّن الله تعالى الإيمان بكل حقائقه في قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ...﴾ الآية [البقرة: ٢٨٥]، فمن آمن بأي رسول من الرسل ولم يؤمن بخاتم الرسل كان كافرًا شرعًا وعقلًا؛ لأن الله تعالى أرسل الرسل تترى، وأوجب على أهل كل زمان رسولًا أن يؤمنوا به وإلا كانوا كفارًا، لأن لكل رسول حكمة يقتضيها الزمان والمكان.

ولما كان رسول الله خاتم النبيين وجب على العالم الإنسانيّ الإيمان به، بل وعلى الجن والملائكة، بدليل ما ورد عن إيمان الجن برسول الله ﷺ - قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢]... -، وأما الملائكة فبدليل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [غافر: ٧].

ومن الإيمان بالله: الإيمان بكلامه، ومن الإيمان بكلامه سبحانه: الإيمان برسوله ﷺ.

بيان خبث نفوس اليهود

في قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]؛ يبيّن الله تعالى خبث نفوس يهود قريظة وقينقاع والنضير، وأن نفوسهم خلقها سبحانه وتعالى من سجين البعد عن الله تعالى.

وذلك لأنهم كانوا قبل بعثة رسول الله ﷺ يهددون الأوس والخزرج بقرب بعثة نبيّ يحصدهم بالسيف حصدًا، ويكونون أنصارًا له عليهم، حتى إذا بعث الله حبيبه ومصطفاه ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله - من قريش لا من ولد إسحاق - كفروا وأنكروا.

حتى أقام الأنصار عليهم الحجة بتلك الحوادث والأخبار بعد إسلامهم رضي الله عنهم، فقال رجل منهم: إنا لم نخبركم بهذا ولا نعلم أن نبيًّا من العرب يرسل، فشنع الله عليهم وكذبهم بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ٨٩] الآية.

والكتاب الذي جاءهم به من عند الله هو القرآن، وقوله: ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ صفة للكتاب، والذي معهم هو: "التوراة والإنجيل"، وقوله تعالى: ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ صفة ثانية للكتاب، وفيها قصم لظهور اليهود؛ وتشريف لرسول الله ﷺ.

- وقد ذكر الشيخ العقاد في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾: هو سيدنا محمد ﷺ -.

﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: أنهم كانوا يستنصرون على المشركين من الأوس والخزرج ويسألون الله النصرة به، ويهددون الأوس والخزرج كما قدمنا ببعثته، وفي هذا نهاية الجهولية والظلومية، وكفاهم تعسة أنهم من أهل النفوس العنادية.

فضل الله لا يُحصر في رجل مات

ويبين الإمام أبو العزائم في هذا السياق من تفسيره لتلك الآية أن تلك النفوس العنادية كثيرة، فإنك ترى بعض المسلمين إذا اعتقدوا عقيدة في رجل ثم مات الرجل وأقام الله بدلًا من أبدال الصديقين غيره أنكروا على الحيّ؛ مع أنهم يعلمون حديث عليّ عليه السلام: "اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجة"؛ وقول رسول الله ﷺ: (العلماءُ سرجُ الدنيا ومصابيحُ الآخرة)، فأعاذنا الله وإخواننا من حصر فضل الله في رجل مات بعد قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء﴾ [المائدة: ٥٤].

ثم كشف الله الستر عنهم وبين قبائح أعمالهم وأقوالهم بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

يشرح الله لنا حالهم بالحجة البالغة أنهم بعد أن كانوا يستنصرون ببعثة رسول الله ﷺ على المشركين وجاءهم ﷺ الذي عرفوه موصوفًا عندهم في التوراة والإنجيل؛ رضوا بالخزي والكفر والكذب وأنكروا، فحكم الله تعالى عليهم بالكفر واللعنة، واللعنة هي: الطرد والبعد والقطيعة عن الله تعالى.

سلام على الوحدة العربية!!

تحديات ما بعد الطوفان!

د. رفعت سيد أحمد

اليوم (٢٠٢٥م) وبعد عملية (طوفان الأقصى)، وبعد حرب الإبادة الإسرائيلية في غزة، يقف المراقب بعد أكثر من ستين عامًا من الوحدة المصرية - السورية التي مثلت التجربة الأهم والأبرز في تاريخنا المعاصر أمام أسئلة كبرى نحسب أن العقل العربي مطالب بالإجابة عليها، ليس بهدف الوقوف فقط على أطلال الماضي الجميل، للبكاء أو حتى للاعتبار والعظة، ولكن بالأساس للبناء والتأسيس لمستقبل أكثر إنسانية، وعدالة، ووحدة. ثمة تساؤلات تاريخية تحتاج إلى تأمل وإجابة من قبيل: لماذا كانت الوحدة؟ هل كانت تعبيرًا عن حاجة حقيقية للدولتين وقتذاك، أم كانت تعبيرًا عن نزوع عربي لدى قادة قوميين شباب تحركهم العاطفة الوحدوية فحسب قبل الدراسة الواعية للواقع الإقليمي المعقد؟ وهل كان هذا الواقع راغبًا في الوحدة أم راغبًا عنها؟ هل كان هذا الواقع واقعًا في اتجاه إسقاطها مع أول أزمة دولية بين المعسكرين؟ أم أنه كان واقعًا مستفيدًا منها موظف لها؟ وأخيرًا: ما هي التحديات التي قد تواجه التجربة إن أردنا أن نعيدها ولكن على المستوى العربي؟.

إنها بعض التساؤلات من وحي الذكرى تحتاج بلا شك إلى نقاش مبدع جديد، سوف نحاول هنا أن نتوقف، فقط أمام تساؤل واحد منها؛ التساؤل الأخير والمتصل مباشرة بطبيعة تحديات قرن جديد أمام الوحدة سواء بإطارها المحدود (بين بعض الدول العربية) أو إطارها الأشمل بين الأقطار العربية التي مزقها الاستعمار الأجنبي وأكمل عليها الاستبداد التكفيري الذي يحكم بعض البلاد ويرضى عليه ترامب ونتانياهو!!

إن التحديات ولا شك ستكون مختلفة، كمًّا ونوعًا عن تلك التي سبقت وواكبت التجربة الأولى (١٩٥٨م) فلا وجود لعالم ثنائي القطبية، بل نحن اليوم (٢٠٢٥م) في عالم متعدد الأقطاب، مع شراسة لقطب واحد يحاول أن يهيمن منفردًا بالقوة على العالم؛ ونحن إزاء (عالم عربي)، بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، ولسنا إزاء (وطن عربي) واحد تجمعه قضية واحدة كما كان أثناء عصر الوحدة الأولى؛ والتحديات التي ستواكب "الحلم" في تحقيق الوحدة العربية، ستكون ولا شك أكثر تعقيدًا وتداخلًا من تلك التي واكبتها سابقًا، والواقع الراهن بكل مآسيه وإشكالاته الكبرى شاهد على ذلك.

على أية حال دعونا نبلور أبرز ما نتوقعه من تحديات رئيسية أمام الوحدة خلال المستقبل القريب، والذي بدوره يؤسس لمستقبل أبعد منه:

الكيان الصهيوني

أول التحديات في تقديرنا: هو هذا الكيان الصهيوني الذي يشن حرب إبادة على غزة منذ ٢٠٢٣م وحتى اليوم وهو كيان عدواني في قلب الوطن العربي، في فلسطين، ويحتل أجزاء (٤٠٪) من سوريا وجنوب لبنان فلا وحدة عربية قادرة على الصمود وهذا الكيان قائم، إذ إنه عامل هدم لها، عبر عدوانيته ومؤامراته، وعلاقاته التي أضحت الآن علنية مع نصف دول الوطن العربي [١٢ دولة عربية تقيم علاقات اقتصادية وسياسية مع الكيان الصهيوني منذ توقيع اتفاق كامب ديفيد عام ١٩٧٩م] وإذا ما ربطنا أكثر علاقة هذا التحدي (الكيان الصهيوني) بالولايات المتحدة الأمريكية، وتحالفهما الإستراتيجي ضد هذه الأمة، لاتضح أكثر، خطورة التحدي وصعوبته. لكن بالمقابل، يمثل هذا التحدي، عامل تحفيز لحتمية الوحدة..

العولمة والذكاء الاصطناعي

أما التحدي الثاني المهم فهو: أن الوحدة المنشودة في قابل أيامنا تأتي والعالم المعاصر يعيش ظاهرة ما يسمى بالعولمة وذكاء اصطناعي بكل ما بها من إيجابيات قليلة في مجالات الثقافة وانتشار المعرفة، وسلبيات أكثر متمثلة في اختراق الخصوصيات الوطنية وتهديد الأمن القومي والسياسي والاقتصادي والحضاري لبلادنا، إن (الوحدة) العربية المنشودة، عليها أن تواجه تلك العاصفة العالمية العاتية التي مرت ببلادنا منذ سنوات، وتنوي البقاء بها في المستقبل القريب، عاصفة العولمة والذكاء الاصطناعي وعليها أن تبدع، في وسائل التعامل معها، فتأخذ منها ما يفيد وما يعضد ويقوي تلك الوحدة: مفهومًا ووسائل وإستراتيجيات للعمل، وأن ترفض ما دون ذلك، من عوامل للهدم والاختراق والإلحاق الحضاري.. فهل الحالمون والعاملون لهذه الوحدة، قادرون على ذلك؟

الاحتلال الأمريكي والغربي

أما التحدي الثالث: فهو أن الوحدة العربية المنشودة، تواجه على الأرض تحدٍّ لم يسبق لها أن واجهته في عصرنا الحديث إلا مرة واحدة وهو الاحتلال الأمريكي والغربي لمقدرات وأراض دول عربية.... صحيح هناك الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين بكل تعقيداته إلا أن ما جرى - وما يزال يجري - من صفقات واستنزاف للثروات العربية واحتلال لأراضي البعض أخطر مما جرى في فلسطين ويمثل ثاني أهم تحدٍّ أمام الحالمين أو العاملين لهذه الوحدة. حيث يتم اليوم بيع الأوهام وخلق أعداء إقليميين غير موجودين واستنزاف الثروات وعقد الصفقات المذلة في حين يتضور أهل غزة بل بعض أهل البلاد العربية جوعًا!!

الجماعات التكفيرية الإرهابية

أما التحدي الرابع والأخير: الذي يواجه الوحدة العربية في قابل أيامها فهو وقوع غالب بلادنا العربية تحت تهديد الجماعات التكفيرية الإرهابية بزعامة الإخوان وداعش وبعضهم تحالف ضمنا اليوم مع واشنطن وكأنهما جبهة واحدة تعمل لصالح إسرائيل وضد الوحدة العربية الحقيقية المنشودة.

إن هذه التحديات (وغيرها مما لا يتسع المقام لذكرها) تمثل في تقديرنا ما يمكن أن نسميه بنظرية الأواني المستطرقة في فلسفة الوحدة، إذ لا يمكننا أن نحقق الوحدة العربية (سواء في إطارها الثنائي أو حتى الإقليمي المحدود أو الجماعي) دونما مواجهة جادة للتحدي الصهيوني الذي يمثل تقسيم الأمة العربية أحد ركائز وظيفته ورسالته في المنطقة، وهذه المواجهة للتحدي الصهيوني، تحتاج إلى مواجهة تفاعلية أكبر مع تحديين خطيرين يقفان على أبواب الأمة بل وبداخل بيتها: تحدي العولمة وتحدي الاحتلال الأمريكي والمشرعن بأنظمة عربية، أغلبها - كما نعلم - تابع ومستبد.

نظرية الأواني المستطرقة [الوحدة - التحدي الصهيوني - تحدي العولمة - الاحتلال الأمريكي - الحرية في مواجهة المتطرفين]، ربما بمدى إدراك، وفهم الحالمين، بالوحدة وبمقدار إخلاصهم في العمل لها يمكن ساعتها الحديث عن أن التاريخ بإمكانه أن يعيد نفسه ويقود الوحدة العربية.

إنها نظرية الأواني المستطرقة [الوحدة - التحدي الصهيوني - تحدي العولمة - الاحتلال الأمريكي - الحرية في مواجهة المتطرفين]، ربما بمدى إدراك، وفهم الحالمين، بالوحدة وبمقدار إخلاصهم في العمل لها يمكن ساعتها الحديث عن أن التاريخ بإمكانه أن يعيد نفسه، وأن نعش مرة أخرى ذلك الحلم الجميل الذي أنجزه عبد الناصر وصحبه قبل أكثر من ستين عامًا حين ربط أرض الكنانة ببلاد الشام في أنبل وأهم وحدة عربية في عصرنا الحديث وحملت ذات يوم هذا الاسم الجميل: الجمهورية العربية المتحدة.. وما ذلك على الله بعزيز!!.

والله أعلم.

تهانى

*** يهنئ شيخ الطريقة العزمية**

السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم كلا من:

* الأخ الفاضل الدكتور عمرو عبد الستار لحصوله على شهادة الدكتوراة بعنوان: (التربية بالآيات الكونية عند الإمام أبي العزائم) بكلية التربية جامعة طنطا.. بأبو حمص محافظة البحيرة.

* الأخ الفاضل الشيخ أشرف فتحي الجندي لحصوله على درجة الماجستير بعنوان: (الإعجاز التشريعي في قضية الميراث) بتقدير ممتاز في المعهد العالي للدراسات الإسلامية.. بميت أبو الكوم محافظة المنوفية.

* الأخ الفاضل الأستاذ طاهر عبدالحميد الجندي بزفافه على الآنسة أميرة سليمان.. بميت القرشي - ميت غمر - الدقهلية.

* الأخ الفاضل الشيخ محمد عبد السلام بحفيده يونس صالح محمد عبد السلام.. بالإسكندرية.

سائلا الله تعالى دوام السعادة والهناء، والتوفيق والسداد،

والبركة فى الأولاد، والوسعة فى الأخلاق والأرزاق.

دعوة عامة

- إن تمت الموافقة الأمنية -

يتقدم شيخ الطريقة العزمية بدعوة جميع محبي آل البيت الكرام للاحتفال بمولد سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام يوم الخميس ٢٠ جمادى الثاني ١٤٤٧هـ الموافق ١١ ديسمبر ٢٠٢٥م، بمشيخة الطريقة العزمية بالقاهرة.

*** ويحتسب شيخ الطريقة العزمية عند الله تعالى كلا من:**

* الأخ الفاضل والمحب الصادق، صاحب الهمة العالية والقلب النقي، الذي أعطي فشكر، وابتلي فصبر المهندس سعيد عبد العزيز سكرتير جمعية آل العزائم بالقاهرة وداعي الطريقة العزمية.. بالقاهرة.

* السيدة الفاضلة والدة الأخ الفاضل والمحب الصادق رسمي النجار والأخ علي النجار.. بالحدين – كوم حمادة – بحيرة.

* الحاج أبو النجا عبد الفتاح أبو النجا شقيق الأخ الفاضل الحاج وجيه أبو النجا نائب الطريقة العزمية.. بالكرما محافظة الغربية.

* الأخت الفاضلة السيدة أميرة مصطفى عاكف حسن حرم الأخ الفاضل الأستاذ محمود ضيف.. بهبيا محافظة الشرقية.

* الأخ الفاضل والمحب الصادق المهندس محمد حسني باظة.. بكوم حمادة محافظة البحيرة.

* الحاج مختار محمود أبو يوسف شقيق المستشار محمد محمود أبو يوسف .. بعزبة أبو يوسف مركز دسوق محافظة كفرالشيخ.

*حرم الأخ الفاضل محمد بسيوني أبو الخير، والدة: أ. خالد وأ. حسن وأ. أحمد .. بالإسكندرية.

سائلا الله تعالى أن يتغمدهم بواسع رحمته، وأن يسكنهم فسيح جناته،

ولأهلهم خالص العزاء.

قرار إداري

على أبناء الطريقة العزمية بالمحافظات، أو الضيوف المقيمين بالمشيخة بالقاهرة، الالتزام بالآتي:

سيتم إغلاق باب المشيخة الساعة ١٢ ليلاً، ولن تفتح لأحد بعد هذا التوقيت، فبرجاء الالتزام بهذا القرار وعدم طرق الباب حرصًا على راحة الجيران والمقيمين بالمشيخة.

وفقكم الله لعمل الخير وخير والعمل.

شيخ الطريقة العزمية

السيد علاء أبو العزائم

٢٧ أكتوبر ٢٠٢٥م

دعوة عامة

يتقدم آل العزائم بمحافظة الإسماعيلية بدعوة محبي آل البيت الكرام لحضور الليلة الختامية لمولد العارف بالله فضيلة الشيخ طاهر محمد مخاريطة يوم الخميس ٢٧ جمادى الثاني ١٤٤٧هـ الموافق ٢٠٢٥/١٢/١٨م بمسجده الكائن بالإسماعيلية.